هنا دار الضيافة

هنا دار الضيافة

مجموعة قصصية

هشام جبر

إصدار: فبراير ٢٠٢١

منشورات دار لوتس للنشر الحر

مشروع النشر الحر - الإصدار رقم: 526

www.lotusfreepub.com

رقم الإيداع

2021/

الترقيم الدولي ISBN

978-977-6839- -

الغلاف والإخراج الفني: دار لوتس للنشر الحر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر، وجميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

هنا دار الضيافة

مجموعة قصصية

هشام جبر

إعلان عن جريمة

في قصره الملعون، جلس على طاوِلتِه الحديدية المستديرة التي تتوسط ذاك البَهْو العملاق، ممسكاً بكاس من النبيذ أعدّه له خادمه الأمين وقد ملأه حتي آخره، ثم اغْمض عينيْه ورَفع بيدِه الكأس عالياً وصبّه ببطء شديد فوق رأسه ليتخلّل النبيذ شعره المجعّد ويسيل على وجهه المكْفهِر فيلْعَق بلسانه ثمالة نبيذه ويُطلق صيْحة مدوّية أسْمَعت من في القصر جميعهم، هِيَ والخَدَم.

ثم أطْبَق بشدّة على كأسه الفارغ ليتهشّم بيده وتسيل الدماء لتتساقط على رأسه وتحل محل النبيذ! وما لبث أن خارت قواه وهَوَت يده لأسفل وانْكَفأ على وجهه ليرتطِم بالطاوِلة وقد سال اللعاب من فمه، وفارق الوعي للحظات!

كان وقْع الصدمة عليه عنيفاً حدّ الخَبَل، فلا شيء يُضاهِي الخيانة عندما يكون أحد طرفيها، تلك التي قد سَلبَت منه ريعان شبابه وعنفوانه، وبُكورة مشاعره وأضْحَى أسيراً في شباكها طيلة عَقدَيْن من الزمن، مُذ أن انتشلها من بئر الرذيلة والعهر، لتنتسب منذ ذلك الحين لأحد رجال المجتمع الأثرياء، لكن على ما يبدو إن ذلك كله لم يكن شفيعا لِأَن تتَخلّى عن رغبتها المتوحشة في ممارسة البغاء، أما الطرف الآخر فكان صديقه المقرب!

★★★

شـاهَدَتْه، لكنهـا لـم تُبْـدِ أي ردّة فعـل نحـو زوجهـا لتُسـعفه، فمهمـا كانـت الأسباب، فالأمـر لا يهِم، دقائـق معـدودة ولا شـك انـه سَيَفِيق، هكـذا كانـت ترافقـه طيلـة عشـرون عامـا!

★★★

مـرت بضـع دقائـق حتـي اسـتفاق ليجـد بجـواره خادمـه الأميـن الـذي بـادر علـى الفـور بإسـعافه ونجـح فـي وقـف نزيـف يـده بوضـع ضمّـادة الجـروح، ثـم رَبَـت علـى كتـف سـيده كمـن يُشـفق علـى أحـد المسـاكين، كمـا لـو أنـه يعلـم مـا يجـري!

لكـن سـيّده أسـرع متوجّهـاً لغرفتـه وأوْصَـد ورائـه البـاب بإحـكام، ليعـاود الخـروج بعـد قليـل وقـد أضْـرَم النيـران فـي غليونـه الـذي تصاعـد منـه دخانـاً كثيفـاً أخفَـى وراءه وجهـه بالكامـل ليعلـن، أن قصـره اليـوم سـيحتضن اكبـر حفـل تَنَكّـري بالبلـدة وأن الدعـوة للجميع بـلا اسـتثناء.

★★★

كان الخـادم الأميـن يتَلقّـى الأمـر مـن سـيّده بالإعـلان عـن تلـك الدعـوة وهـو متوجّسـاً خِيفـة ممّـا يضْمـره سـيده، بينمـا كانـت هـي تَرقُـب مـن بعيـد مـا يحـدث، وقـد ارتسَـمت علـى وجههـا بسـمة تمتـزج بالخبـث والدنـاءة، سـعيدة بهـذا الحفـل المرتقـب، ثـم أسـرعت لتتهيّـأ غيـر عابِئـة وقـد تناسَـت مـا حـدث منـذ قليـل علـى تلـك الطاوِلـة، الأهـم أنـه لـم يكتشـف أمرهـا، هكـذا اعتَقَـدت.

★★★

بعد سويعات قليلة، استعد القصر ومن فيه لهذا الحفل التنكّري، كلٌ على طريقته الخاصة، لكن المُلْفت أن سيّد القصر قد أصرّ على تجهيز الأزياء والأقنعة للمدعوين بنفسه وحرِص أن تكون هِيَ بصحبته في استقبال ضيوفهم عند توافدهم ومرافقتهم أثناء انتقاء كل منهم لقناعه المفضل، وبالطبع كان ذلك حتي يعرف أي قناع سيرتديه صديقه الخائن.

★★★

لم يتردّد صديقه في اختيار زيّ الراهب ذو القناع الأبيض، ولعله كان دائم الحرص على الظهور أمام الجميع في ثوْب الفضيلة، يا لَه من مُرائي! بينما فضّلت هِيَ زيّ الطاووس بشرشوفه الطويل ذو القناع الذهبي، أما السيّد فقد كان آخر من يرتدي قناعه عندما صعد لغرفته خِلسة حتي لا يتعرّف عليه أحد، وقد ارتَدَى زيّ المحارب ذو القناع الحديديّ الأسْود، والمدجج بخِنْجر حادْ ومُدبّب!

★★★

بدأ الحفل باحتساء نَخْب الوفاء، حَسبما أسماه الخادم الأمين ودعَى إليه الجميع أولا، ثم تحوّل إلى حفل راقص تبادل فيه الجميع الرقص على موسيقى أسبانية صاخِبة، فيما جلس السيد على طاولته الحديدية في منتصف البهو، يراقب الجميع ويحدّق فيهم وقد اختار كل منهم وَليف ليرافقه، وبالطبع كان الراهب والطاووس في قمّة الاستمتاع وكانت هي ترقب الجميع بعينيها في محاولة منها لمعرفة أيّ الأقنعة يرتديها زوجها.

★★★

ورويدا رويدا انبَهَر الجميع بأداء الراهِب والطاووس حتي أفْسَح الجميع لهم البهو وأصبحا في المنتصف منفردين إلى جوار الطاولة التي كان مازال المحارب الشريف جالساً بها لم يحرّك ساكنا، حتي اشْتدّ الأمر وأصبح فوق الاحتمال عندما اعتَلَى الطاووس الطاولة الحديدية ولَحِق به الراهب ليُكمِلا معاً فقرتهما المثيرة، حتي ضَغَطَت بقدميها على يدِه المجروحة!

★★★

حينها فقط، وَقَفَ وانتزع خنجره من غِمده وغرَسه في قلب الراهب وسْط ذهول الجميع، لتنكشف يده عن ضمّادة الجروح، وتنكشف شخصية المحارب لها، إنه زوجها! إذن لقد علم ما بينهما ويود الانتقام الآن!

هَرَعَت للوراء في محاولة للهرب لكنها اصطدمت بالخادم الأمين الذي حال دون هروبها، ليُتِمّ المحارب جريمته المشروعة ويغْرِس خنجره في قلبها!

★★★

أصاب الجميع الذُعر والهَلَع وسارعوا بالفرار، لكن أحداً منهم حتي الآن لم يعرف من ذاك المحارب الذي ارتكب تلك الحادثة المروعة في القصر الملعون، سوى الخادم الأمين.

★★★

رسائل زجاجية

جَمَع حوائِجه المُلِحّة ووضعها بالقرب منه، حتى لا يَبْرح مكانه، التبغ وغليونه العاجيّ، وقدّاحته الذهبية المرصّعة بأحجار التوباز الصغيرة، وبعض من مطحون بُنّ الروبوستا، ومِوْقده المتنقل الصغير ذو القاعدة البرونزية، وإبريقاً نحاسيّ اللون، ثم جلس إلى جوار النافذة محدّقاً نحو البناية المقابلة لبنايتِه حيث الشُرفة المواجِهة لنافذته، يترقّب ظهورها من آنٍ لآخر، حتى إذا ما أَطَلّت منها وَثَبَ مُلْقياً بنصف جسده العلويّ خارج النافذة ملوّحاً بيديه متمتماً بكلماتٍ غير مفهومة، لكنّها كانت تكتفي دائما بنظرة عابرة تَخْذِله لتختفي مرة أخرى، فيسقط هو بجوار أشياؤه ليعاود الانتظار من جديد، هكذا أمضى قرابة أسبوعاً منذ أن حَلّ هؤلاء الجيران الجُدُد بمسكنهم الجديد.

بدا أن الأمر ليس إلّا هَوَسٌ واضطراب ومسٌ من الجنون، بالتأكيد ليس إلّا هكذا، فماذا يخال نفسه هذا حتى يظن أن العشق قد ينجزه نظرة ؟! ربما كان مختلّاً، وربما هنالك ما لا نعرفه نحن!

★★★

سعَى طيلة حياته أن يصبح ثريّا، كانت رغبته كذلك أو ربما كان اشتهاء، على أيّة حال فقد تحقق له ما أراد، لكنه أدرك حينها أن

الثـراء ليـس فـي جنـي الأمـوال فقـط وإنمـا هنـاك الكثيـر ممـا لا زال ينقصـه، فجمـع أموالـه المتيسّـرة ومقتنياتـه الثمينـة داخـل مسكنه الـذي اكتـظ بهـا، ثـم تفـرّغ للبحـث عـن شـيءٍ آخـر.

★★★

اسـتيقظ ذات صبـاح كمـا العـادة ثـم انكفـأ علـى وجهـه هائمـاً ناظـراً خـارج نافذتـه مترقّبـاً ظهورهـا، حتـى دَنَـت مـن شـرفتها بهـدوء ونظـرت إلـى الأسـفل ثـم أَلْقَـت بزجاجـة صغيـرة مـن شـرفتها لتسـقط مُهَشّـمَة ثـم اختفـت مـرة أخـرى!

كان تصرّفـاً مريبـاً منهـا، لكـن الأغـرب مـن ذلـك، عندمـا لاحـظ أن الزجاجـة كانـت تحـوي شـيئاً مـا أقـرب مـا يكـون إلـى قصاصـة مـن الـورق، هـرَع إلـى أسـفل بنايتهـا ليتفحّـص ذلـك الشـيء لعلهـا تكـون رسـالة، وبالفعـل كانـت كذلـك، صـورة لعصفـور صغيـر!

زادت دهشـته، فمـاذا يعنـي ذلـك؟ ربمـا لـم تـدرِ تلـك الحسـناء بمـا كانـت تحويـه الزجاجـة، ولكـن إن لـم تكـن تـدري، مـا الـذي يدفعهـا أن تُسـقط زجاجـة مـن نافذتهـا؟! هكـذا تسـاءل وعندمـا لـم يجـد إجابـة سـارع بالعـودة لمسـكنه، لكـن دهشـته كانـت أكبـر عندمـا وَلَـج مسـكنه واسـتقر إلـى جـوار النافـذة ليجـد عصفـورا يتقافـز مقتربـاً منـه قدمـاه موثقتـان بثقـلٍ حتـى يعـوق طيرانـه كمـا لـو أن أحـداً ألقـى بـه مـن خـلال النافـذة!

لـم يجـد تفسـيرا منطقيـاً لمـا حـدث، لكـن مَهْـلاً، إذن صـورة العصفـور

كانت دلالة لوجود ذلك العصفور بمسكنه، ليس ذلك فقط بل أنها قد اختارت الزجاجة لتستحوذ على انتباهه فسقوطها سيحدث أثراً لا محالة!هكذا أصبح موقناً، وأصابه إثر ذلك شيئاً من الرهبة لبعض الوقت، لكنه سرعان ما عاد إلى جوار النافذة مترقّباً ظهورها مرة أخرى حتى المساء، فغلبه النعاس.

★★★

في صبيحة اليوم التالي استبدّ به الفزع عندما أيقظه صوت تحطّم زجاجة أخرى أسفل بنايتها، وبرغم الرهبة التي أسرّها في نفسه إلّا أنه لم يتردّد في معرفة ما تحويه تلك الزجاجة هذه المرة خاصة وأن هنالك قصاصة أخرى قد لاحت له، فسارع إلى أسفل بنايتها ليتفحصها وإذ بها صورة لثعبان!

لم يدرِ ماذا يفعل، أيُعقل أن بمسكنه الآن ثعبانا؟

انتظر قليلاً قبل معاودته مسكنه حتى لَمْلَم بعض من قواه التي خارت وشيئاً من شجاعته المصطنعة وقرر الصعود فلا مفر من ذلك!

عاود لمسكنه وقد تثاقلت خطاه وتسارعت دقّات قلبه، كما الفريسة التي تعلم بمصيرها وتنتظر في سكينة واستسلام صيادها الماهر، وتقدّم رويداً رويداً نحو نافذته وعينيه تكاد تخترق رأسه من جميع الجهات ثم تسمّر فجأة! فالثعبان موجود بالفعل! لكنه داخل إناء شفافاً محكم الإغلاق! فتنفس الصعداء وأمسك بالإناء على الفور وألقى به من النافذة إلى حيث يكون فلا يهم إلّا أن يتخلّص

منـه، ولـم يعـد أمامـه إلّا أن يغلـق تلـك النافـذة ليكـون بمأمـن عـن أي أذى فجميـع تلـك الرسـائل الزجاجيـة عواقبهـا قـد لا تُحتمَـل فيمـا بعـد، وبالفعـل أغلقهـا بإحـكام ظنّـاً منـه بـأن الأمـر قـد انتهـى، ثـم خلـد فـي نـوم عميـق.

★★★

اسـتيقظ فـي ظهيـرة اليـوم التالـي ليبـدأ طقوسـه اليوميـة متأخـراً، ثـم شـرع بإعـداد قهوتـه المفضّلـة ومـا لبـث أن أشـعل غليونـه حتـى أصابه الهلـع مـن جـراء الصـوت المفـزع إثـر تحطّم زجاجـة أخرى بالأسـفل! وهنـا بـدأ صراعـاً يتعاظـم مثـل كـرة الثلـج داخـل رأسـه، فمـا الـذي يسـتوجب فعلـه الآن؟ فلقـد قـرر أن يغلـق النافـذة بمـا ورائهـا مـن رسـائل الحسـناء، لكـن مـاذا إن كان هنـاك مـن يحيـق لـه الأذى، هـل ينتظـر ويجابهـه ويرتضـي بالعاقبـة؟ أم يعلـم مـاذا ينتظـره لكـي يتأهـب لـه ؟ وكانـت الغَلَبَـة لنصفـه الجبـان،

★★★

توجّـه إلـى أسـفل بنايتهـا ثـم التقـط القصاصـة مـن بيـن الشـظايا المتناثـرة، لكنـه مـا لبـث أن أبصـر مـا بهـا حتـى جثـا علـى ركبتيـه! فهـل يكـون مصيـره كذلـك؟!

كانـت الصـورة لألسـنة مـن اللهـب المتصاعـدة وأسـفلها صـورة لشـخص صريـع!

ركـن بظهـره إلـى الجـدار وقـد وجّـه بصـره إلـى أعلـى حيـث نافذتـه وقـد توشّـح وجهـه سـواداً وانكمـش جفنـاه وجحظـت عينـاه وانتفخـت

وجنتاه وارتخى شَدَقَاه وضاقت به الدنيا ذرعاً،
«لن أصعد»، قالها بإصرار!

★★★

ظل هكذا مفترشاً الأرض حتى صبيحة اليوم التالي موجّهاً بصره لأعلى نحو نافذته حتى لاحت له زجاجة أخرى تسقط من أعلى بنايتها كادت أن تهشم رأسه لولا أن تلقّاها بيديه قبل سقوطها أرضاً، ليبتسم وقد امتزجت ابتسامته بالبؤس والحسرة، فما الذي ينتظره داخل تلك الزجاجة، أما زال هنالك الكثير من تلك الزجاجات؟ متى الخلاص يا الله؟
أمْسَك بعنق الزجاجة وأطاح بها بعيدا فلا يَهِم الآن أن يعرف ما بداخلها لقد نالت منه زجاجاتها بما يكفي.
تحطّمت الزجاجة وأتَت الريح بالقصاصة التي بداخلها إليه فأمسك بها فإذا بها بيضاء قد خَلَت من أيّة شيء!
انتفض واقفاً فلا شيء بالقصاصة! ماذا يعني ذلك؟ هل نفذت القصاصات المشؤومة؟ هل هذا يعني شيئًا لا أذىً ولا عناء فيه؟ قرر الصعود بعد تلك الرسالة المبشّرة وبالفعل صعد حتى إذا ما وَلَج مسكنه أطلق ضحكة هيستيرية ولمعت عيناه في شفقةٍ على نفسه، فقد خلا مسكنه مما كان فيه من أموال ومقتنيات ولم يتبقى منه سوى جدرانه!
لقد كانت لِصّة!

★★★

احتجاج

كانت لم تزل خيوط الشمس تتخلل قطَع السحاب المنثور وتهمس بأذنيه بأنها على وشك الغروب، حينما أطْبق يديْه بإحكام على عكّازَيْه الخشبيّيْن اللّذَيْن غاصا في كُثْبان الشاطئ الرملية وهو في طريقه إلى قارِبه الصغير، حتي إذا بلغ القارب، استدار بظهره وجلس على حافّته وألقَي بنفسه داخله، ثم انتشل عكازيه ومرساته.

★★★

بُتِرَت قدماه منذ سنوات بعيدة حين أقْدَم على سَحْب جَرْواً صغيراً احْتمَى بعجلات قِطار أوْشك على التحرّك، بَيْد أنّ إعاقته تلك لم تمنعه قَطْ من الإبحار، فالبحر لا يهْوَي أقْدام الصيادين، ولا حتي أيديهم، بل يعشق تلك الروح التي تفتّش بداخله عن أسراره، لكنه أيضاً ليس من هواةِ البَوْح، لذا، فالبحر دائما هو ملاذ الأخيار لكاتم الأسرار، أو مقبرة من يُبْحِر فيه ويستهين به، هكذا العشق.

★★★

صعَد على مَتْن قاربه الذي اعتاد أن يبحر به عندما تذْرف عيْناه، نعم، فعندما يمَسّهُ اليأس، تذْرف عَيْناه، لا، بل يجِفّ حَلْقه أيضاً

وتتَشـقّق شِـفاهُ، وينعَصِـر قلبـه حزنـاً، فيُبْحـر، فـارّاً مـن واقـع مُلبّـد بشَـتّي أنـواع الضّـلال!

★★★

ضَـرَب بمِجْدافَيْـه فـي البحـر حتـي توغّـل ولـم يُبْصـر خَلْفـه اليابِسـة، تلـك التـي غادرهـا بمـا عليهـا، ظنّـاً منـه أنـه سـيَأمَن غَـدر أصحابهـا إذا ابْتَعـد وغـاصَ فـي أعمـاق عالـمٍ آخـرٍ لـم يصِـب ضمائـر مخلوقاتـه الخبـث والعفـن بعـد، ربمـا ظـنّ أنـه ابتعـد، لكـن أنـا، لا أظُـن.

★★★

توقّـف عـن التجديـف فجـأة، ثـم ألْقَـي بمجدافيـه فـي البحـر!، ليتَخلّـص مـن مسـاعِدَيْه اللذَيْـن بإمكانِهمـا أن يُعيداه إلـى عالـم القُبْـح والدنَـس.

لـم يكـن ثمّـة شـيء مـن حولِـه سـوَي سـماء رماديـة اللـون، وأمـواج قـد تلاطَمَـت ببعضِهـا البعـض، فاسْـتلْقَي داخـل قاربـه موجّهـاً بَصَـره للسـماء التـي أقْتَمَـت روَيْـداً رويـداً حتـي أنـه إذا أغْمـض عَيْنَيـه لـم يـرَ سـوي نفـس السّـواد، لكـن سُـرعان مـا بزَغَـت فـي السـماء نجومـاً وَسـط تلـك العتْمـة قـد تراصّـت فـي تناسـق غريـب، وتسـاءَل حينهـا، كيـف يحْتَكـر الليـل تلـك النجـوم اللامعـة لنفسـه ؟ ولِـمَ لَـمْ تَسْـوَدّ السـماء مباشـرةً، دون أن يعبُرهـا اللـون الرمـاديّ؟ أليسـت هـي نهـارٌ وليـل فقـط؟ وضـوحٌ يقابلـه عتمـة؟ يـا لَـهُ مـن مسـكين ذلـك الرجـل، فنحـن لم نُخْلـق لنَحْتَـجّ، بـل نتكيّـف لِنَرضَـي، أمّـا النجـوم فيلزمهـا العتمة لتسـتمد

بريقها فلن تلمع هكذا إلا في غياب النور، كالدّرّ النفيس وسط الحَصَي، وهكذا بعض البشر.

★★★

ظل هكذا، رهينة أفكاره، فقد اجتذبته السماء دون غيرها، إلى أن ارتطم القارب بجُرْفٍ صخريّ أصابه من أسفل، فاسْتَفاق على الفور ليتَفقّد ما جرَي، وإذْ به يجد نفسه قد عاد للشاطئ مرة أخرى، فقد لفِظَتْه أمواج البحر الذي لم يُعيرُه الصياد اهتمام، إلى الأرض مرة أخري!

يا للهول، ماذا يفعل إذن لكي لا يعود ثانية لهذا العالم القبيح؟

على أيّة حال، لم يفقد الأمل و هَمّ بأن يرتَدّ بقاربه داخل البحر ثانيةً، ولكن كيف؟ بعد أن ألقي بمجدافيه في عرض البحر؟ كيف الرجوع إذن؟!

★★★

حينها، لاحَ من بعيد طَيْف رجل يقترب من القارب، فما بدا منه في عتمة الليل هو قميصه الأبيض، وأخذ في الاقتراب من القارب، فاعْتَدل الصياد ليتحقّق أكثر، حتي رَأَي ذِئْباً قد ارْتَسَم في منتصف قميص هذا الرجل! فَجَفّ حَلْقه مرة أخري، وهَرَع مُمْسِكاً بعكَازَيه يُجَدّف بهما إلى داخل البحر ناظراً وراؤه لذلك الرجل، حتي بدأ بالابتعاد عن الشاطئ وذئابه.

كانت صدمته أعْنَف بكثير عندما ابتعد عن الشاطئ وحَدّق في

الرجـل مـرة أخـري!، فقـد كان القميـص شـفّافاً!
تمسّـك بقـوة بعكازيـه ليبتعـد أكثـر عـن الشـاطئ، لكـن الميـاه كانـت قـد بـدأت تتَسـرّب إلـى قـاع القـارب إثْـر اصطدامـه بصخـور الشـاطئ!
وأبَي البحر أن يكون ملاذاً لمن استهان به، فهو العاشق المجنون.

★★★

ومـا بيـن السـماء والأرض والبحـر، اختـر لـك مـلاذاً يناسـبك، فليـس هنـاك سـواهم.

★★★

الهودج

تَجَهَّم وَجْهُه واسْوَدَّ ليُصبح أكثَر سَواداً، وَهَبّ واقِفاً أمام ناره التي أَوْقَدَها للتَوّ، والتي كان أَجيجها قد كشف عن ملامحه وتقاسيم وجهه التي اكْفَهَرّت وتنازعت فيما بينها لتُعلن عن غضبِه العارم الممزوج بحزنٍ دفين، ثم أخرج سيفَه من غِمْدِه وجَزَّ رأس ذلك العابِر الذي أتاهُ بالخبرِ المُفجِع، إلّا أن حِمَم الدماء التي دائماً ما تستثيره لم تزيده إلّا عنفاً وقسوة، ورغبة في الانتقام.

ولكن كيف سينتقم من حبيبته!، أتستحق هي الأخري أن يطيح برأسها؟أم برأس أبيها الذي أرغمها على الزواج من آخر؟ فقط اِلْتَمَسْت له العذر الآن، لعلّه أمراً استحق أن يجزّ من أجله رؤوس كل العابرين!

★★★

كان هذا الفارس الفَظّ صاحب القلب الأصَمّ الذي لا يَرِقّ أبداً، لا يختلف كثيراً في غِلظَتِه عن قسوة ناره، ربما لأنه افتقد إلى الرّفْق والحنان منذ أن كان صبيّاً، فاعتاد أن يكون ذلك الوحش الجَسور الذي لا يَهاب الموْت ولا يَرأَف بالآخرين حتي لو كانت رقابهم على حدِّ سيفِه.

★★★

انتفخت أَوْداجه وارتجَفت أوْصاله وكَزّ على أسنانه، ثم استَلّ سَيْفه وامتَطَي جَوَادَه المخلص الذي لم يَسلَم منه هو الآخر، حينما التقط جَذْوَةً من ناره المُتّقِدَة ثم غَرَسَها فيه لينطلق بقوّة الألم مُخلّفاً وراءه غَبْرَةً حالت دون رؤياه في لحظات، وانطلق الرفيق وعلي ظهره فارسه الذي لا يعرف الرحمة ليلْحَق بموكبِها الذي كان في طريقه إلى مقرّ العُرْس الكبير.

انحَنَي على ظهْر جواده للأمام وأردف قدميْه وراءه لأعلي فلم تعلو رأسه عن رأس رفيقه وسابق الرّيح وظلّ يَعدو بدون توقّف، بل إن الطّيْر أصابه اليأس ولم يستطع مُجاراته، حتي لاح من بعيد موكب العرس، فاستمر بسرعة البرق في ملاحقتِه حتي تجاوَزَه بمسافةٍ ليست بالقليلة، وأضحي أمامه مباشرةً، ثم تَهادَي ليتوقّف، ثم استدار.

★★★

توقّف الموكب وأَشْهَرَ الحُرّاس سُيوفهم تَأَهُّباً لِصدّ عدوان ذلك الفارس المجهول الذي تَرجَّل عن صَهْوةِ جواده متوجّهاً إلى هَوْدَج حبيبته، وبإشارة غير معلومة جاءت من ورائهم، أفْسَح له الحراس مَمرّاً آمِناً فَشَقّ صفوفهم حتي وصل إلى هَوْدَجِها ثم أزاح برفق الستار.

★★★

لا أحد يدري ما الذي جعله يسْتَنِم الهَوْدج ويرافقها، لكنّه فَعَل، ربما لم

تستطع أن تمنعه، وربما كانت رغبتها! لكنها أمَرَت حرّاسها بعد ذلك بمواصلة السيْر.

★★★

أمْضَيَا وقتاً ليس بالقليل، لم يترك فيه الرفيق المخلص سيّده، بل تَتبّع الموكب في انتظار إشارةٍ منه، حتي أشار الفارس للحراس بالتوقف، ثم هبط ليعتلي ظَهْر جواده مرة أخري ويشير إلى الحراس بمواصلة السير.

★★★

واصَل الموكب مسيرته ولكن دون أن يَلْحَظ أحداً من الحراس الدماء التي سالت على جَنْبَيّ النّاقة التي حَمَلت هَوْدج العُرس!

★★★

عاود الفارس الأجْحَف أدراجه، ليجد نارَه التي أوْقَدها وقد باتَت رماداً، ثم نظر إلى العابر المسكين الذي لَقِيَ حتْفه، ووَدّ لوْ أنه ما زال حياً ليخبره بأنه لا عُرس اليوم.

★★★

تشابه أسماء

دفعوه إلى الداخل بقوة، ثم أغلقوا الباب من الخارج وهمّوا بالانصراف، فصاح بأعلى صوته مستنجداً، لكِنّ أحداً لم يجيبه عندما بدأ صوت وقْع أقدامهم بالابتعاد!

اقْشَعرّ بَدَنه للحظات، وتَسَمّر مكانه كما الأصنام، فلم يُبْصِر سوي ظلاماً حالكاً حال دون رؤياه معالم هذا المكان.

أغْمضَ عينيه اللتين شَرُفَتا على القفْز من مكانِهما من فَرْط جُحوظِهما، فانطفأت كذلك البقعتين الوحيدتين الدالّتين على وجود حياة بهذا المكان، فلم يكن بحاجة لهما الآن، ثم مدّ أحَد ذراعيْه أمامه وبدأ في السّيْر مُحْترِساً يَحتَكّ باطن قدماه بالأرض لِألّا يتعثّر بما لا يراه.

حتي إذا ما لامَسَت أنامِل يديْه الجدار ركن إليه بظهرِه ثم انْساب في هدوء لأسفل حتي جلس مُقَرفصاً واضعاً ذراعيه على ركبتيْه اللتين احتَضَنتَا رأسه، ثم أجهش بالبكاء!

أفْضَي به الذهول إلى الحيرة، فما الذّنب الذي اقْتَرفَه وقادَه لتلك الزنزانة اللعينة؟ ثم استرجع شريط يومه: لقد دَأبَ هذا الشاب العشرينيّ المسالِم على إعطاء بعض النقود المعدنية لتلك السيدة المُسِنّة المزعِجة التي تجلس على قارعة الطريق، لكنّه اليوْم لم

يرَها، هل كان عليه البحث عنها مثلاً؟ أم كان عليه الامتثال لرغبة تلك الشقراء النحيفة التي اقتربت منه أمام كاميرا برنامج مسابقات وهو في طريق عودته لمنزله وأصَرّت على محاورَته ثم رفض؟ ما الذي اقترفه إذن؟ لقد ارتدى اليوم بنطالاً قُرمزِيّ اللوْن ومِعطفاً قَرمزيّ اللون أيضاً، وقَدّم الحليب لـ قطّة جارِه التي تنتظره كل صباح عند خروجه من منزله، ولم يجلس في المقاعد المخصصة لكبار السن في الحافلة التي تَقِلّه إلى عمله.

هذا كل ما جَناه اليوم، ما الخَطْب إذن؟

هنا توقف عن البكاء فجأة! لقد تذكر شيئاً ما! نعم، لقد تذكر!

فمنذ يومين وهو يشاهد التّلْفاز، قرأ خَبراً عن مناشدة بعض المسؤولين للمواطنين بالتبرع لإنشاء مبني البلديّة الجديد، نعم، نعم، نعم، (لقد نسيت)، كانت تلك كلماته التي لفظ بها نادماً.

أجهش بالبكاء ثانيةً صارخاً، أنا مُذْنب، نعم أنا مذنب، ثم ضَرب الأرض بقدميه، ثم تَوالت الضربات، .

★★★

أمضَي وقتاً ليس بالهيّن في تلك الزنزانة اللعينة التي لا يضاهيها في وحشتها سوي، وحشة القبر، لكنه لم يزل يأمل في غيثٍ إلَهِيّ، فالحل بسيط، فما يريدونه في المتناول وسيتعهد بدفع غرامة التأخير!

★★★

بعد وقتٍ طويل، فُتِح الباب، ودخل أحَدهم وتقدم نحوه في ثبات، ثم أمسك ببعض شعراتٍ من رأسه ليرفعها لأعلي، ويخبره بالانصراف!

انتفض واقفاً ثم فتَح عينيه اللّتان كانتَا لم تَزل مغلقتان، فاندهش عندما أبْصر أمامه أحدهم، وقد احتل شارِبه النّصف السُفليّ من وجهِه برغم الظلام شديد الحُلْكة، وكأَنّ زنزانته أضْحت بِـ وَهَج النهار.

لكنّ سعادته تلك لم تمنعه من السؤال عن سبب المجيء به هنا.

انتابته القشعريرة مرة أخري عندما قال له: تشابه أسماء!

★★★

ظل متمرد

بعد أن تيقّن أن الجميع يغُطّون في النوم، أخْرَج قنّينة العطر التي دسّها بملابسه، ثم تجرّع قَدْراً ليس بالقليل منها!، فقد ملأها بنبيذه المفضل حتي لا يفتضح أمره، ثم انصرف إلى خارج المنزل هائماً لا يعرف وِجْهَته.

لم يثِر دهشته، أنه وفي ظُلمة الليل الحالك تلك، قد رافقه ظِلّه!الذي بدا جليّاً كما لو أن الشمس في ذروتها؟! كيف؟ لا بأس فلم يكن ذلك ليلفت انتباهه مطلقاً وقد أخذته نشوة الخمر، لكنه ما أن رأي هذا الظّل المترنح يميناً ويساراً حتي انفجر ضاحكاً، فما أثار دهشته فقط هو عدم اتزان ذلك الظّل الأعوج، الذي يتمايل بتمايله وينحني بانحنائه ويسكن عند توقفه.

★★★

كان تعِساً بحياته لكنّه يعرف كيف يخْتَلس لنفسه القليل منها، وربما وَجَد في ظِلّه خير رفيق لِما أحسّه من انسجام نحوه، ف أخيراً قد وجد من يؤنسه في لحظات بهجته القليلة.

★★★

اختار طريقاً متعرجاً غير مستوي للسير فيه، يبدو أنه قد اعتاد عليه ولم تكن المرة الأولى! وبينما كان يسير في طريقه كانت

قهقهاتـه تمـلأ سماءه القاتمـة وسط تعثره من حين لآخر، وكان يعلو صوت قهقهتـه عندمـا يـري رفيقـه يتعثـر هـو الآخـر معـه، لـذا، فقد كانـت لذتـه فـي التعثـر.

الآن فقط بدا واضحاً سبب اختياره لهذا الطريق.

★★★

لـم يفقد وعيـه كامـلاً، بـل كان مـدرك لـكل مـا أحـاط بـه، لكنهـا كانـت سـويعات البهجـة التـي يفعـل فيهـا مـا يريـد بـ حريـة ودون قيـود، خاصـة مـع رفيقـه الـذي يلازمـه ويشـاركه لحظاتـه المختلسـة مـن حياتـه التـي بغِضهـا لحـد الكُـرْهْ.

★★★

واصـل سـيرُه ضاحـكاً وهـو يتابـع رفيقـه الوَفـي الـذي لـم يعـصِ لـه أمـرا، ثـم توقّـف ورفَـع يديـه، فرفـع رفيقـه يـداه أيضـاً، ثـم حـاول مسـتعيناً برفيقـه أن يرسـم وجهـاً حزينـاً علـى الأرض، مسـتخدماً أصابعـه، لكنـه لـم يتمكـن، ثـم حـاول مـرة أخـري فلـم يتمكـن، حتـي بـاءت كل محاولاتـه بالفشـل، فانزعـج كثيـراً، ثـم أشـار إلـى رفيقـه بـ سبّابة يـده، وبـدأ بتوبيخـه ملقيـاً باللـوم عليـه، لكنـه لـم يتوقـع أن يبادلـه رفيقـه نفـس الإشـارة فـي ذات الوقـت، بـل وتوبيخـه أيضـاً كمـا فعـل هـو، فاستشـاط غضبـاً وانحنـى لأسـفل ليلتقـط حجـراً يقذفـه بـه، لكـن شـيئاً غريبـاً حـدث!

لم ينحني رفيقه كالمعتاد! وظل واقفاً مشيراً إلى سيده بـ سبابته!

حينها دَبّ الرعب في قلبه، وانطلق راكضاً نحو منزله، فارّاً من رفيقه الذي تحول فجأة إلى شبح يطارده، حتي إذا ما دخل إلى منزله اطمأن، ثم أخرج قنّينة العطر ليتجرع منها قدراً أكبر، وبعد أن تأكد أنهم ما زالوا نائمون، خرج مرة أخرى!

★★★

ورقة توت

أمَرَها أن تكُفّ عن الحديث، فلم تفعل، فَبَدَت على وجهِه علامات الاستياء! يبدو أنه لم يسمع منها ما كان يأْمَل، فَنَهَرَها!
فأشارت إلى أعلى، نحو تلك الغصون الوارِفة لشجرة التوت العتيقة التي ركن إليها، فاهْتزّت على الفور كما لَوْ أنّ ريحاً عَصفَت بها، لتَسقط منها وُرَيْقة صغيرة قُرمُزية اللون من ورق التوت، على رأسها، فالتقطتها وأعطَته إيّاها، فاندهش لكِنّه وضعها في حافِظَته.
ثم اعْتَدَلت في جلسَتِها وهَمّت أن تُكْمِل حديثها، لكن صَبْره كان قد نَفَد كعادته، فبالرغم من أنه قد شارَف أن يسْتهل عَقْده الخامس، إلا أنه قد أضاع عمره هذا مُتعَجّلاً دائماً.
أخْرج من حافِظته حِفْنة من النقود وأَلْقاها في وَجْهِها العَبوس ثم همّ بالانصراف، حينها توقّفَت عن الكلام، لكن الغريب أن شِفاها لم تتوقّف! بل استمرت، لِتَقُصّ ما لَم يَوَدّ أن يسْمعه، كأَنّما كانت رسالة منها إليه، لم يُدْرِكها حينها، أن ما بمَقْدوره أن يصُمّ آذانه عنه الآن، لن يَصُدّ عنه مستقبل محتوم! وربما قصدت شيئاً آخر!

★★★

مضي مهَرولاً في طريقه لمنزله الذي لا يَبعد إلا القليل وقد تَبدّدت أحلامه وأصابه اليأس، من كلمات تلك العَرّافة الكفيفة

التـي أبْصَـرَت مـا لـم يُبْصـر بـه، لـذا فقـد طـالَ الطريـق وبَعُـد، بقـدر مـا بَعُـدَت عنـه أمانيـه، فـكلِ شـيءٍ أضْحَـى سـرابا.

لكن تُرَي، ماذا كان ينتظر أن يسمع؟، لا شك أنه فقط من يعلم.

أسْدَل الليـل سُـدوله معلنـاً تضامنـه مـع العرافـة العجـوز، حتـي إذا مـا وصـل لمنزلـه الصغيـر ذو الباحـة الجـرداء، انطلـق إلـى الداخـل ثـم عـاد بعـد لحظـات قليلـة يتَفحّـص باحَـة منزلـه، وقـد ارتـدي فـي يديـه قفّـازاً مـن الجلْـد السـميك وأمسـك بمِعْـوَلٍ قـد تـآكل مـن الصّـدأ، حتـي اسـتقر نظَـره علـى بُقْعـة مسـتوية.

ثم بدأ بالحَفْر!

للْوَهْلـة الأولـي بَـدا أنـه يُنَقّـب عـن شـيءٍ مـا، ثـم أخـذ رويْـداً رويـداً فـي إزالـة آثـار الحفـر ليصنـع حُفْـرة عميقـة، ثـم تَوسّـع يمينـاً ويسـاراً، حتـي ظَهَـرت مَعالِـم مـا يصنعـه، يـا للهَـول!

إنه قَبْر!

لقد صنع قبراً!، لكن لمن؟

أهناك ما يَوَدّ أن يُخْفيه داخله مثلاً ؟ ؟ أم ماذا؟

لماذا حفر قبراً بيديه؟.شيءٌ محيّر بالتأكيد، ولا يعلم ذلك سواه.

لكِنّ المؤكد، أنّ هذا القبر، سَيَحوِي شيئاً ما!

★★★

بعـد أن انتهـى مـن الحفـر ألْقَـي بمِعْوَلِـه أرضـاً وخَلـع عنـه قفازيـه، ثـم

قَفَز داخلـه!

وقَـف وَاجِمـاً للحظـات، ثـم ذَرَفـت عيْنـاه دموعـاً سـارَع بمَسْـحِها كَمَـن يخْشَـى أن يُصَـدّق أنـه يَبْكـي، ثـم رَقَـدَ داخـل القبـر فـي هـدوء.

★★★

اسـتقر داخـل القبـر الـذي لـم يَسَـعه، كمـا لـو أنـه صُنِـع لغيـره ليـس لـه، ثـم سـاد الصمـت الرهيـب للحظات.

هبـت ريـح عاصفـة فجـأة، ارتجـف منهـا كل شـيء أحـاط بـه وبمنزلـه، لكنهـا أَتَـت فـي أدراجهـا بـورق التـوت الـذي مـلأ القبـر عـن آخره!

فـأزاح مـن فوقـه ورق التـوت وتـوَكّأ علـى سـاعِدَيه، لكـن شـيئا مـا اسْـتوْقفه!

نعـم لقـد اسـتوقفه ورقـة تـوت قرمزيـة اللـون! فتذكـر علـى الفـور العرّافـة، وأخـذ يفتّـش فـي حافِظتـه عـن تلـك الورقـة التـي أعطَتْـه إيّاهـا العجـوز الكفيفـة، فلـم يَجِدهـا، لـم يُـدْرِك أنـه قـد رَدّهـا إليهـا فـي حينهـا عندمـا قَذَفَهـا بالنقـود، لكنـه كان يبحـث عنهـا لا يعلـم لمـاذا، ومـاذا تعنـي لـه، ومـاذا سـيفعل بهـا إن وجدهـا، لكـن شـيء مـا دفعـه لذلـك.

الْتقَـط تلـك الورقـة التـي اسـتقرّت أمامـه، ثـم اتّجـه مسْـرعاً فـي اتجـاه شـجرة التـوت العتيقـة، آمِـلاً فـي لقـاء تلـك العجـوز ثانيـة.

★★★

كانت في انتظاره، لم تَبْرَح مكانها، كانت تعلم أنه سيعود، لكن بعد أن يتَحَلّى ببعض الأمل الذي دائماً ما يخْلقه المَرء بنفسِه عندما يصنع نهايته بيديه.

★★★

أعطاها ورقة التوت، وأعطته ورقة التوت

وجلس أمامها صاغياً صاغراً، ليسمع ما تبقي من حديثها.

★★★

اللص والذئاب

أشْـعل فتيـل قنديلــه ووضعــه جانبــاً، ثـم اسْـتَلّ سـكيناً حـادّاً ذو يـدّ خشـبية، وجِـوالاً بلاسـتيكياً صغيـر، ودسّـهما فـي سِـرواله الضيّـق ثـم انتظـر حتـي تخَطّـت عقـارب السـاعة الثانيـة عشـرة ليـلاً بدقائـق قليلـة، ثـم تنـاول قنديلــه ومضَـى حافـيَ القدَميْـن!

★★★

كان رجـلٌ خمسـينيّ، رأسـه حاسِـر مـن الشَـعر، نحيفـاً بالِـغ الطـول ذو رأس ضخـم، قـد انحنَـى ظهـره بفعـل الزمـن، يرتـدي ثيابـاً باليـة رثّـة تلطّخـت بالوَحـل فـي بعـض أجزائهـا، تـرك دراسـته للطـبّ منـذ مـا يقـرُب مـن ثلاثـة عقـود، واكتفَـى بحيـاة مليئـة بالفشـل أَوْدَت بـه لمصيـر مؤلـم، وأضحَـى منبـوذاً مـن أهـل بلدتـه، الذيـن أدركـوا أنـه عاجـلاً سـيَلقَى جـزاء مـن جنـس عملـه!

لكـن تُـرَى، إلـى أيـن كانـت وجهتـه؟ ولِـمَ بعـد منتصـف الليـل تحديـداً؟ لعلـه شـيء جَـدّ مريـب!

★★★

مضَـى فـي طريقـه مهْتَديـاً بضـوء قنديلــه الخافِـت الـذي كشـف عـن قسَمات وجهـه العَبـوس فـي ظُلمـة الليـل الحالـك، لكنّـه لـم يُنِـر أمامـه بالقـدر الكافـي عندمـا جُرِحَـت إحـدَى قدميْـه وسـالت منهـا الدمـاء،

لكـنّ ذلـك أيضـاً لـم يمنعـه مـن مواصلـة السـير، وبينمـا تخَلّـل نقيـق الضفـادع أرجـاء الطريـق، كان عِـواء الذئـبِ القـادم مـن أقصـى البلْـدة قـد اخْتلـط مـع نِبـاح الـكلاب التـي بَـدَت علـى مقرُبـةٍ منـه، إلا أنّـه لـم يكُـن يخشَـى سـوَى أن يفْتضـح أمـره. فقـد بـدَا مُتلصِّصـاً يتلفّـت يمينـاً ويسـاراً كَـيْ لا يرقُبـه أحـد، وربمـا كان ذلـك أدعَـى لاختيـاره هـذا التوقيـت بالـذات.

★★★

هـدأت خُطوتـه عندمـا وصـل لمـكان فسـيح قـد اكْتـظّ ببنايـات صغيـرة متماثلـة متراصّـة لـم يتعـدَّ عُلوّهـا رأسـه الضخـم، وهـدأت معهـا جميـع الأصـوات، إلّا مـن هَمْهمـات!

انحنَـى بظهـره لأسـفل ليتـوارَى وراء تلـك البنايـات وأسـرع مـن خطوتـه، ثـم اختفَـى! يـا للهـول! تلـك البنايـات تبـدو كـأنها تشـبه الـ.. إنهـا قبـور أي نعـم إنهـا قبـور!

لقد علمت الآن إلى أين يذهب وماذا سيفعل!

★★★

توجّـه علـى الفـور إلـى القبـر الـذي كان يقـف أمامـه منـذ سـاعات عندمـا كان هـو أحـد المُشَـيّعين، ثـم مـا لبِـث أن جَثَـى علـى ركبتيـه أمـام فتحـة القبـر ووضـع القنديـل جانبـاً، حتَـى تَعَالَـت الهَمْهمـات مـرة أخـري، فتلفّـت يمينـاً ويسـاراً، لكنـه لـم يجـد ثمّـة شـيء غريـب فقـد كان يُوْقـن بـأنّ، مِـن الأمـواتِ، أحيـاءٌ!

★★★

وبينما كانت قدمه لم تزل تنزف، أزاح بيديه غطاء القبر، ثم أخرج السكين من سرواله، حينها تَعالَت أصوات الهمهمات والتمتمة مجدّداً وعاود عواء الذئب ثانيةً، لكن هذه المرة كان أكثر قرباً!

جَحَظَت عَينيْه من فَرط الهَلَع! فتناول قنديله ثم وقف ليرْقُب ما يجري حوله محدّقاً في جميع الاتجاهات، لكنه لم يرْصُد شيئاً فقد سَكَتَت جميع الأصوات وساد الصمت، فاطمأن قلبه.

خَرّ على ركبتيْه مرة أخرَى و هَمّ بدخول القبر، فـ خَرَقَ الصمت صرخة مدَوّيَة وتَعالَت الهَمهمات لـ حَدّ الصراخ، وعاود عواء الذئب! وأصبح الأمر مفزِعاً للغاية!

حينئذ، لم يحتمل و وَثَب بسرعة وفي يده قنديله وقد ألقَى بسكينه بعيداً واشْتدّ الصراخ وعَلا صوت الذئب فسارع بالرّكْض صَوْب رُكنٍ يأْمَنُه، حتي توقّف مُرْغَماً!

★★★

لقد اعترضَه الذئب الذي سال لُعابه على رائحة دمه، وأبَى أن يتركه يعود حيث أتَى، فأصبحا وجهاً لوجه، فانخلع قلبه وسقط منه القنديل منطفئاً، لكنّ الضوء لم يغادر! فالكثير من القناديل كانت من ورائه تتبعه! فالكثير من الأحياءِ، أمواتُ.

★★★

قارئ الفنجان

عـاد للتّـوّ لمنزلـه القابـع فـي أقصَـى المدينـة ليحتسِـي قهوتـه التـي أهْملهـا صبـاح اليـوم، بعـد أن أرْجَـأ الحـدّاد ميعـاد التسـليم! يبـدو أن الأمـر تطَلّـب مزيـداً مـن الوقـت ليُنجِـز لـه مـا أراد، لا بـأس، فلـم يـزَلْ الوقـت مبكـراً ويمكنـه تناولهـا مُرغمـاً كعادتـه، نعـم، فقـد اعتـاد عليهـا مرغمـاً، فهـو لا يحـب القهـوة، بـل أدمـن قـراءة الفنجـان!

★★★

أعـدّ فنجانـه الأوّل فـي عَجَلـةٍ مـن أمـرِه، وارتشَـف منـه رشْـفة واحـدة، وبحركـة دائريـة أذاب مـا تَرسّـب بِقـاعِ فنجانـه ثـم سَـكَب مـا فيـه ووضعـه مقلوبـاً، ومـا لبِـث أن وَضَعـه هكـذا حتـي الْتَقَطه ثانيةً وأسـرع فـي قراءتـه متلهفـاً!، حينهـا لـم يجـد سـوَى سـواداً حالِـكاً احتَـلّ حتـي جوانبـه، فامْتَعَـض كثيـراً ثـم بـدَأ فـي إعـداد فنجانـاً آخـر، لـم يرتشـف منـه هـذه المـرة بـل سَـكَبَ مـا فيـه وحـاول قراءتـه علـى الفـور، فلـم يجـد إلا سـواداً أيضـاً، ثـم حـاول مـرة أخـري، وفـي كل مـرة لا يجـد إلا سـواداً حالـكاً!.

★★★

ربمـا كان متسـرّعاً طويلـة أربَعـون عامـاً هـي عُمْـره الآن، مُنْدفِعـاً متهـوراً متلهفـاً كمـن يريـد أن يسـبق الجميـع دون أن تَطَـأ قدمـه

الأرض، يريد أن يُحَلّق عالياً دون أن يملك جناحين، يريد أن يحظَى دائماً بما ليس له، وحينما لا يلْحق بما يريد، يتملّكه اليأس، ظَنّاً منه أنها، اللّعنة التي تُطارده!

يا لَه من مسكين ذلك الرجل!، فلا يعلم أنه قد أضاع ما يمكنه الاستمتاع به من مَلذّات، فقط إن تحَلَّى ببعض الحُلُم، وتخَلَّى عن رعونته.

وأصبح فريسة لخياله الخَصب الذي أوْحَى له بأن يبحث عن عالَماً آخر يَسَع شَطَطَ فِكره.

لِذا، فقد لاحَت برأسِه فكرة غريبة، كانت هي ما دَعَتْه إلى زيارة الحدّاد، عَلّها تكون انْفراجة تبْعَث فيه أملاً جديداً، هكذا اعتقد!

على أيّةِ حال، فقد عاد مجدّداً لإعداد فنجاناً يأمَل أن يرَى فيه مستقبلاً مغايِراً لِما يَحياه، ولكن كيف وهو لم يتَكبّد حتي عنَاء الانتظار؟! وباءَت كل محاولاته بالفشل حتي سَئِم، وعندما تنَبّه أنّه لم يتبقّى كثيراً على موعَده، هَرَع على الفوْر ليلْحَق بالحدّاد تارِكاً فنجانه مقلوباً، فلا داعِي لقراءتِه فالنتيجة معروفة.

★★★

ارتَدَى قبّعتَه السّوداء التي الْتَهَمت نِصف رأسه العُلْويّ وسَتَرَت جبْهَته العريضة التي سادَها البُهاق، ثم انصرف.

كان الحدّاد بانتظاره هذه المرّة بعد أن أَتَمّ مهمّته، لكنه تعَجّب من ذلك الرجل العَجول عندما أصَرّ الأخير أن يصْطَحِبه برفقته إلى

خـارج المدينـة بعيـداً عـن أعيـنِ البشـر! فهنـاك سـيتم التسـليم وإتْمـام المهمـة!، عجيـب حقـاً أمْـر هـذا الرجـل، لقـد فَقَـدَ عقلـه لا شـك!

اسْـتجاب الحـدّاد مُرغمـاً وتوَجّهـوا معـاً إلـى مقْصـده، فضـاء شاسِـع علـى مـدّ البَصـر، ثـم توقّـف الرجـل وأخْبـر الحـدّاد بـأن يُتِـمّ مهمتـه هنـا، وبالفعـل انتهَـى منهـا ثـم انصـرف.

★★★

كان بَابـاً حديديـاً مُصْمتـاً! أراد الرجـل أن يُقِيمـه فـي هـذا المـكان، ظَنّـاً منـه أنّهـا البوّابـة التـي سـيَعبُر منهـا مـن عالَمَـه القبيـح إلـى عالَمَـه المَنْشـود الـذي لَطالمـا سـعَى إليـه!

لا شكَ أنه قد جُنّ بالفعل!

★★★

وقَـف أمـام بوّابـة الأحـلام، وقـد تَهيّـأ للدخـول، ثـم تقدّم روَيْداً روَيـداً، وأمْسَـك بمِقْبَـض البـاب ليفتحـه، لكنـه لـم يُفتَـح! حـاول مـرة أخـرى ولـم يُفتَـح أيضـاً، فاسْـتَدار سـريعاً خلْـف البـاب مـن الجِهـة الأخـرى ليحـاول فَتْحـه بشـتَّى الطـرق ولكنّـه فشَـل، فانْهـال علـى الحـدّاد بوابِـلٍ مـن اللّعنـات!، ، لكنّـه، وفـي أَوْجِ غضَبـه، لَفَـت انتباهَـه أنّـه بالفعـل قـد عَبَـر البـاب فهـو فـي الجهـة المقابلـة التـي كان سـيعبُر إليهـا عنـد دخولـه، ثـم نظـر خَلْفـه فلـم يجـد إلا فضـاء شاسـع، إذن، لا شـيء تغيـر، فدخولـه عبـر البوابـة لـم يكـن سـيُجْدي مـن شـيء فهـا هـو قـد عبَـر بالفعـل!

هنا شَعُر بالخِزْي الشديد، فعندما أمْهَل نفسه فرصة لإعمال عقله لثوانٍ معدودة، فَطَن أخيراً إلى عِلّتِه، وإلّا، لكان لا زال يحاول فتح الباب.

فلا شك أن التأنّي يَحمِل ثِماراً أكثر مما يَحمِله طموحٌ بلا عقْل

★★★

عاد إلى منزله وخَلع عن رأسه قبّعته السّوداء، بعد أن قرّرَ أنّه لا قهوة بعد اليوم، لكنّ فُضوله كان أقوَى منه عندما وَجَد فنجانه الذي ترَكه لا زال مقلوباً، فتناوله على الفور فربّما كان هنالِك جديداً.

وأصابته الدّهْشة عندما زال السّواد من فنجانه، ليبدأ في قراءته بتَمَعّن.

★★★

هنا دار الضيافة

لِمن ضلّ الطريق

ضَغط بكل قوة على مَكابِح مَركَبَتِه عتيقة الطراز عند قراءته لتلك العبارة، لتتوقف في نَهْر الطريق وفي حُلْك الظلام! فأخيراً قد وَجَد ضالّته، ثمّة مكان يسْتَلقي فيه حتي الصباح، فقد قطع بِضْع مئاتٍ من الأميال في طريقٍ مُوحِشٍ ومعتَم لم يؤنِسه فيه سوَى نظارته الطبية المُقَعّرة التي يرتديها مرغماً، و ضَبْح البوم الذي ملأ أرجاء الطريق، وأضواء مصابيح سيارته والتي كشفت عن تلك اللافتة التي توارَت خلف ضبابٍ كثيف، وسلاحه الناري الذي لا يفارقه.

★★★

أسْنَد رأسُه إلى زجاج النافذة وقد بَدَت عليه علامات الاستفهام، هل يضيّفون مَن ضلّ الطريق فقط ؟!ثم ما لَبِث أن أصابه الفزع عندما حلّقَت بومة بيضاء بجوار نافذته ليصطدم وجهُها بزجاج النافذة ثم تُحلّق طائرة في الاتجاه الذي تشير إليه اللافتة، كما لو أنها تريد أن ترشده إلى طريق الدار!

أمْسَك بمقود مَركَبَته بإحكام ثم انعَطَف باتجاه اللافتة وتوغّل في طريقٍ وَعِرٍ غير مُمَهّد متعقّباً تلك البومة البيضاء حتي لاحت

من بعيد لافتة أخرى مضيئة ضخمة استقرّت أعلَى بناية تكوّنت من طابقين كُتِبَ عليها: «مرحباً بالزائرين هنا باب الدخول» وكُتِبَ أسفلها: «لا يوجد باب للخروج»

أصابته الدهشة وشيئاً من الخوف، فكيف لا يوجد باباً للخروج؟، لكنه سرعان ما اطمَأن، فبكل تأكيد ذلك يعني أنّه ليس هناك ثمّة أبوابٍ أخرَى فباب الدخول هو باب الخروج، هكذا اعتقد!

ثم ترَجّل عن سيارته وتوجّه نحو باب الدخول.

★★★

كانت هناك شجرتان قد حاوَطَتا البِناية يميناً ويساراً وقد الْتَصقَت بأفرعهما عشراتٌ من البوم الأبيض الذي تعلّق من مخالِبَه مقْلوباً يَغُطّ في نَوْم عميق، عَدَا تلك التي سَبَقته بثوانٍ وظلّت ترقُبه حتي باب الدخول.

انْفرَجت أسارير وجهه بعض الشيء عندما قرأ اللافتة المُعَلّقة بباب الدخول الضخم ذو المِصراع المستطيل الذي يعلوه والتي كُتِب عليها عبارة تقول: «لا تقْلق سيدي فالدار للجميع»، إذن فالدار ليست لمن يضلّ فقط، لكنه ازداد رهبة وتخوّفاً عندما قرأ ما كُتِب أسفلها: «وجميعنا قد ضَلَلْنا الطريق»

★★★

وَطَأَت قدَماه أرض الدار وقد حاول أن يرسم بسمة على شفتيه اللتان ترتجِفان منذ أن عَبَرَ باب الدخول وقد انبعَثت أصوات

الموسيقى الهادئة وعَمّت أرجاء المكان ثم توجّه حسبما أرشدته لافتة أخرى كُتِبَ عليها: «إلى موظف الاستقبال»، فلم يجد أحد!، ازدادت دهشة الرجل وهمّ بالانصراف لكن استَوْقَفَته لافتةً أخرى صغيرة كُتِبَ عليها، «افعل ما يحلو لك، انت هنا السيّد»!، لم يدرِ ساعتها ماذا يفعل ووقف في حيرةٍ من أمرِه، فالدار خالية ولا من أحدٍ هنا، إلّا أنّ اللافتات لم تتركه وشأنه وأبَت ألّا يغادر الدار .

ظل هكذا يَجُول في الدار حسْبما ترشده اللافتات حتى رأَى إحداها وقد كُتِبَ عليها: «إلى أعلَى، ولا تزعج النائمون».

توجّه حيث تشير اللافتة وصعد لأعلَى بكل هدوء حرصاً على اتباع التعليمات، وما أن صَعد دَرَجَ السُلّم حتى وجد نفسه في مقدّمة مَمَرٍ طويل تقاسَمَت جانبيه عدداً لا بأس به من الغُرف، لكِنّ ثمّة شيء غريب قد لاحظه للتوّ أيضاً، فأبواب الغرف جميعها مفتوحة على مصراعيها ولا يوجد بها أي نزلاء!

★★★

ساقَه فضوله أن يقترب من أحد الغرف، عَلّه يتمكن من فك طلاسم هذه الدار الملعونة، ودخلها لكِنّه لم يجد سِوَى جدران رماديّة اللون لم تَحوِي بين جنَباتها شيئاً مطلقاً، انصَرف خارجاً منها على الفور متوجّهاً نحو دَرَج السُلَّم، حينها فقط تَسَمّرَت قدَماه وجَحَظت عَيْناه من فَرط الذهول، عندما سمع صوتاً يشبِه

ضبـحَ البـوم يناديـه قائـلاً: «مـاذا تريـد؟»
الْتَفَت خلفـه ليَرصُـد مصـدَر الصـوت لكِنّـه لـم يـرَى أحداً ولـم يعـرف بمـاذا يجيـب!، ثـم أردَف المنـادي: «أكنـت تريـد الراحـة؟» فأجـاب الرجـل بصـوتٍ خافـتٍ مرتعـش: «نعـم»، ثـم عـاوَد المنـادي قائـلاً: «لـن تجدهـا»!، ثـم سـاد الصمـت وانطفـأت الأنـوار!

★★★

كاد أن يتوقّـف قلـب الرجـل عـن النّبـض مـن هَـوْل مـا رآه وسـمعه، لكـن المُجْـدي الآن، أن ينجـح فـي الوصـول إلـى السُّـلَّم وسـط هـذا الظـلام الدامـس حتـى يَفلِـت مـن أشـباح هـذه الـدار، لكـن صوتـاً آخـر قـد باغَتـه قائـلاً: «ليـس فـي الهـروب الحـل، نحـن أرشـدناك ونحـن نُخْرِجَـك»، ثـم اسـتطرد الصـوت قائـلاً: «لا تنسـى أنـه ليـس هنـاك بابـاً للخـروج»، ثـم أضـاءت الأنـوار مـن جديـد لينطلـق ناحيـة دَرَج السُّـلَّم فـارّاً مـن ملاحَقـة تلـك الأصـوات ومـا أن هبَـط حتّـى اصطَـدم بلافتـة كُتِـبَ عليهـا: «نرجـو أن تكـون قـد أعجبتـك خدمتنـا»، ثـم توجّـه علَـى الفـور ناحيـة بـاب الدخـول لكنـه تفاجـأ بلافتـة كُتِـب عليهـا: «قبـل المغـادرة توجّـه لدفـع الفاتـورة» فلـم يُعِيرهـا اهتمامـاً وواصَـل سـيره نحـو البـاب، وكانـت المفاجأة!عندمـا وجَـد البـاب مغلقـاً وقـد عُلِّقَـت عليـه لافتـة كُتِـب عليهـا، «أخبرنـاك أنـه لا يوجـد بـاب للخـروج».
حينهـا فقـط أخـرج سـلاحه ليصوّبـه لأعلَـى باتجـاه مصـراع البـاب ويُطلِـق عيـاراً ناريّـاً أيْقَـظ جميـع النائمـون علـى أفْـرُع الشـجر، مخالفـاً

بذلك تعليمات الدار، لينفتح أمامه الباب على مصراعيه مرة أخرى ويَفِرّ هاربا!

★★★

استقل سيارته من جديد وقد حاصَره البوم الأبيض خلف زجاج نافذته وانطلق عائداً عَبْر هذا الطريق الوَعِر حتى وَصل إلى اللافتة الأولَى وقد أصابته الدهشة حين أعاد قراءتها، ،.فقد كُتِب عليها، «هنا لا ضيافة، لمن ضلّ الطريق»

★★★

انتحار

مـاذا علـيّ أن أفعل الآن، فـ للتـوّ فقـط هاتفني أحدهـم وأبلغنـي بالموعد والمـكان، ليتنـي لـم ألبّـي نـداء هاتفـي، سـأتوجه لغرفتـي إذن، تلـك الشـرنقة التـي تحتوينـي دومـاً حيـن يتسـارع شـهيقي وزفيـري كأنمـا الخيـل حيـن تتسـابق.

أخْرَجْـت الصـورة المطموسـة لأحـدّق بها قليلاً، وأشْـعَلْت فتيل شـمعتي التـي توسـطت الصّـوان الملاصـق لمضجعـي، ثـم وَضَعْـت سـبّابتي أسـفل الشـمعة، وانتظـرت قليـلاً، فسيسـقط سـائلها السـاخن الآن علـى إصبعـي ليكتـوي بـه، ربمـا يضمّـد هـذا الشـمع المتضـرّم بعـض الآلام الأخـري التـي تسـري بدمائـي المتدفقـة بشـراييني، ولـو لـم يقـض عليهـا، فسـأضع إصبعـي فـوق لسـان اللهـب، وهكـذا سـيكتوي أسـرع.

أوه هنـاك صـوت مـا يقتـرب، سـ أدسّ تلـك الصـورة أسـفل وسـادتي، وسـأطفئ الشـمعة بسـرعة وسـأنزع هـذا المِبضَـع الحادّ من بيـن أصابع قدمـيَّ وأمحـو آثـار الدمـاء وسـأحل وثاقـي الـذي جـرَح رسـغيّ، وهـا أنـا نجحـت قبـل وصـول ذلـك الشـخص، بالفعـل هـي أمّـي، كالعـادة صوتهـا العالـي يؤرقنـي، هـي توبّخنـي الآن بسـبب الجلـوس منفـردا، فهـي تعلـم أن الأمـر لـن يمـر سَـلَماً، صوتهـا يعلـو أكثـر فأكثـر، يـا للهـول، سـئمت مـن سـد آذانـي دومـاً وهـي تحدّثنـي، لمـاذا لا تتركنـي

أتلذّذ بما أفعل، لماذا لا تدعني وشأني، هي تأمرني الآن بالتجول وعدم الجلوس وحيدا، نعم نعم، لأذهب إذن إلى غرفة المَوْقد لعلّي أجد إناء يتقافز غطاؤه من غليان ما به، أكشفه وأضع وجهي لأنال من لفحة بخاره قليلا، هَيّا أسْرِع حتى لا تتبعك أمك وتلحظ ماذا ستفعل، أوف، يا لحظي السيء، إنه أبي يرقبني، إنه يصيح فيّ ويأمرني بصلاة الظهر، لا مفر إذن، سأذهب لأصلي الآن لعلّهم ينشغلون عني لبعض الوقت.

★★★

لا أعرف تحديداً لماذا تتملكني دوماً الرغبة في الانتقام من نفسي، لكنّ آخر ما توصّلت إليه، أنّ من هو مثلي يستحق العقاب، فلا شيء حولي يشبهني، فقد فشلت في مجاراة الجميع حتى الأصدقاء الذين هاتفوني منذ قليل، حتى هذا الببغاء اللعين الذي يقبع بقفصه الخشبيّ في زاوية غرفتي المظلمة والذي ظننته سيكون خير أنيس، دائما ما يكدّر عليّ صفوي حين يردّد ما أقوله فيذكّرني كل حين بلعثمات لساني، لقد ضقت ذرعاً بالجميع، لا شك أنّي أنا الدّخيل عليهم فالجميع يتآلفون عداي، لم أفطن لذلك إلّا مؤخراً، فقد ظللت هكذا بين رحابة اليأس والعقاب، وضيق الأمل والمحيا قرابة عقدين هي عمري الآن.

★★★

اقتربت ساعة الصفر والرفاق في انتظاري، هُم من أقنعوني

بالحل، أو، أنا من اتّسَعَ صدري له، وعليّ الآن أن اختلق عذرا مقبولا للخروج من المنزل، فـفي المرّات السابقة كنت احتال على أبَوَيّا للخروج ولم يشفع لي سوى أنّي برفقة الأصدقاء، لا بأس من كذبة أخرى أخيرة، نعم أخيرة، فلن أكذب ثانيةً، فقد مَلَلْت الكَذِب، لا، عفوا، ليس لهذا السبب تحديدا، وإنما لأني ربما لن، أعود!

★★★

نَجَحَت معهما حيلتي كالعادة، وبدأت ألملم أشيائي المحبّبة إليّ وأحشو بها جيوبي، ثم ارتديت افضل ثيابي، وبدأت أودع كل ما أجده بطريقي، ببّغائي اللعين، حائط غرفتي المكسو بـ خرابيش حروفي، نافذتي الموصدة دائماً، ساعة الحائط المعطلة منذ ثلاث سنوات، مذياعي الصغير الذي لا تنتهي حكاياته، مؤلفات آرتور شوبنهاور السوداوية، مرآتي المهشّمة التي خَلَت من الزجاج إلّا بِضْعُ أجزاءٍ قليلة، والكثير من الشموع التي لم تنفذ بعد، حتى أبي وأمي ودعتهما كما ودّعت أشيائي الجامدة،

أوه، كِدتّ أن أنْسَى تلك الصورة المطموسة، تلك التي أعطتني إيّاها محبوبتي ذات يوم وقد طَمَسَت معالم وجهِها بـ مِدادٍ ذهبيّ اللون، ربما أرادت القول بأن من يعشق روحاً لا وجهاً، يظلّ مُحِبّاً لا مفتوناً، أثِق تماماً أنها قد أصابت، مثلما لم أثق بنفسي، خَرَجْت من المنزل ثم اختلست نظرة للوراء، رَمْقَة أخيرة قد

تكفي لِتُطفئ لهيب الشوق لما سأفتقده، لكن ذلك لم يُثْنِني عن اللحاق بالموعد المحتوم،

★★★

التَقَيْت ثلاثتهم الذين احتفوا بقدومي فاندهشت، فليس هنالك ما يبعث على السعادة، ثم بدأت رويداً التأهّب لِما هو آت!

صعدنا جميعاً أعلى القمّة، ثم بدأ أحدهم بـ شدّ الوثاق وتقييدنا الواحد تلو الآخر جنباً إلى جنب بـ حبلٍ واحد، فـ سنقفز جميعاً في آنٍ واحد، ثم أمَرَنا أن نغمض أعيننا وأن ننتبه جيداً فنحن على حافّة القمّة!

فقط كنت أفكر حينها في الخلاص من مجتمع صار أضيق ما يكون، مجتمع يستر عورات الخبثاء ويزخرف خبائثهم، مجتمع لا يعير لأمثالي انتباهاً بل يسطو على حقوق هؤلاء أنقياء السريرة، آه، ما أحوجنا إلى صدورٍ سليمة وقلوبٍ مطمئنة، لا فائدة الآن، أريد أن ألوذ بالفرار!

أَخْرَجْت تلك الصورة المطموسة لآخر مرة وفتحت عينيّ خِلْسَة مخالفاً للأوامر لعلّي أُشْبِع ناظري بها قبل موتي، ثم رفعت رأسي قليلا محدّقاً بشغف فانعكست أشعة الشمس عليها لتظهر بعضٌ من ملامحها المخفيّة، لينتابني حينها شعور بالرغبة في التراجع، لعلّي عندما أتمعن فيها جيدا تكتمل صورتها، ثم بَصَرت الرفاق بطرف عيني حِرصاً ألّا يشاهدني أحدهم، لكن

شـيئاً مريبـاً قـد لاحظتـه للتوّ،!الجميـع مبصـرون فلـم يغمـض أحـد منهـم عينيـه! بـل كانـوا يتهامسـون!ولمحت ابتسـامة متواريـة لكبيرهـم قبـل أن يلحـظ يقظتـي، علـى الفـور تراجعـت للـوراء بضـع خطـوات وكانـت المفاجـأة! لقـد سـقط الوثـاق أرضـاً! لـم يكونـوا مقيديـن بـي، بـل لـم يقيدهـم كبيرهـم! صَرَخْـت بـ وجـه ثلاثتهـم : لـ لـ لمـ لمـاذا؟ ولـم أنتظـر الـرد، بـل انطلقـت عائـداً أدراجـي وقـد أصابنـي الذهـول، مؤنّبـاً نفسـي، كيـف لـي أن أثـق بهـم، فلـم أعهـد منهـم الوفـاء مـن قبـل، لا بـأس، هـي رغبتـي الجامحـة فـي الخـلاص تلـك التـي دفعتنـي لذلـك.

★★★

عـدت إلـى المنـزل، حامـلاً صورتهـا المطموسـة، لعـلّ الشـمس غـداً تكشـف كامـل ملامحهـا، أتجـوّل فـي جَنَبـات غرفتـي المظلمـة، ثـم فتحـت نافذتـي لأول مـرة ليدخلهـا شـعاع الشـمس البرتقالـي، ولـم ألبـث أن خلعـت عنـي ثيابـي، حتـي صـاح فـيّ أبـي يأمرنـي بصـلاة العصـر.

★★★

مأساة

أزالت بإصبَعيْها شَعْرة قد سَقطَت من رأس صغيرها، فاغْرَوْرقت عينيها، ولمّا انتبه، استدارت خلفه سريعاً وقد تظاهرت بأنها تصفّف شعره، بينما انفجرت عيناها بسيلٍ من الدموع!

كانت تخشَي أن يراها هكذا، لذلك فقد اعتادت أن تكون خلفه دائماً، فلم يسْأَم الصغير طيلة عمره الذي لم يتجاوز أصابع اليد الواحدة من سؤالين، أحدهما عن سبب بكائها كل حين، أما الثاني، فإلي أين تركهما أبوه، ؟

★★★

لم يكن الأمر هيّناً على أرملة لا تملك من حياتها رصيداً سواه، ولم تقْترف ذنباً سوي أنها اسْتَوْحَشت حياتها ولم تَأْنس بها بعد فراق زوجها، لكنها الأقدار، فمثلها الكثير ممّن يعيشون على هامش الحياة، لا يَنْصِت لصوت أنينهم سوي رُحماء القلوب، طوبَي لهم.

لكِنّ المأساة كانت أكبر!

فلم يترك الأب لأسرته الصغيرة بخلاف روحهِ التي ملأت أركان مسكنهما الرثّ ولم تغادِره بعد، سوي المرَض اللعين، الذي أبَي الصغير إلّا أن يشارك فيه أباه، ولكن في سِن مُبكّرة جداً!

لـم تَكُـفّ الأم يومـاً عـن أن تُحْصِـي شَـعَراته التـي تتسـاقط مـن رأسـه، لكـن علـى مـا يبـدو أنهـا قـد تتوقـف قريبـاً، فلـم يبقـي إلا القليـل!، لكنهـا كالعـادة كانـت تأتِـي مـن خلفـه لتَقْبَـع قُبْلَـة غَنيّـة بإكْسـير الحيـاة علـى عنُقِـه الرقيـق لعلهـا تمنَحـه بَعـض عُمْـرٍ مـن عمرِهـا، ثـم تبكـي.

★★★

كان دَوْمـاً يتألّـم بَيْـدَ أنّـه لـم يشـكو قَـط، فوجودهـا كان كافيـاً أن يُلهيـه عـن معاناتـه، وهـي مـن خلفـه تجفـف دموعهـا بيديها التـي قـد الْتَصقَت بهـا آخـر شـعراته الذكيـة!

★★★

أصابهـا الوهـن وعجـزت عـن تخفيـف آلامـه، وبَـدا أنّ الأمـر أصبـح محتومـاً، لكنـه لـم ييـأس ولـم يَكُـفّ عـن سـؤاله المعهـود، إلـى أيـن ذهـب أبـوه؟ .

★★★

لقـد كان يَئِـن، ليـس ألمـاً، بـل هَلَعـاً، فلديـه مـن الهواجـس مـا يُخْطِـره أن شـيئاً مـا، ليـس علـى مـا يـرام علـى الإطـلاق، وكيـف لهـذا الشـيء أن يكـون هكـذا دون علـم أبيـه.

★★★

شَـحَبَ الوجـه وجَحَظَـت العينيـن، واحتبَسـت الأنفـاس، حتـي توقـف النبـض!

فتوقفـت كل البلابِـل عـن التغريـد وهَجَـرت أغصانهـا، وتَهـاوَت كل

الطائـرات الورقيـة التـي تسـبح فـي سـمائه سـقوطاً علـى الأرض، وسَـكَنَت جميـع الأَراجيـح عـن الحركـة، وضَـلّ الصغـار جميعهـم طريـق عودتهـم، ثـم غابـت الشـمس،

★★★

حينهـا فقـط، اسـتدارت أمـه لتنظـر فـي وجهـه، فلـن يسـألها الآن عـن سـبب بكائهـا، أو إلـى أيـن ذهـب أبـوه، فقـد ذهبـوا معـاً

★★★

مخلص

ما لبث أن فرغ من كيّ بنطاله الوحيد الأسود الذي شارف أن يصبح رمادي اللون، حتي أحس ببعض الفتور الذي لاحقه بعد عناءِ يومٍ شاقّ له ولمساعده الذي لا يفارقه أبداً حتي في مسكنه المتواضع الذي أمْضَيَا فيه قرابة العامين الآن، لكن شيئاً ما لاحظه للتو! أين مساعده ‹مخلص›؟ فمنذ أن دخلا سوياً مسكنهما مساء لم يشعر به ولم يلحظ وجوده!

ترك أشياءه مبعثرة وتجوّل في أركان مسكنه الضيق بحثاً عن مخلص حتى لم يتبقى سوي غرفتهما ذات المضجع الوحيد التي تحتل مقدمة مسكنهما من الناحية القبلية.

أضاء مصباح الغرفة وتلفّت يميناً ويساراً فلم يجده، حتى ضاق ذرعاً وسئم من البحث، لكن كيف له أن يبرح المسكن لأي سببٍ كان دون إخباره وعلى غير عادته!

على أيّة حال، لم يدم الحال هكذا طويلاً، فقد غلبه النعاس فور أن استلقى على مضجعه، فالغد يحمل الكثير من العمل كالعادة، ولعل صاحبه قد اختلى بنفسه قليلاً، لا بأس، فقد تستحيل الحياة عندما تسير على وتيرة واحدة.

استيقظ في صباح اليوم التالي ليجد رفيقه إلى جانبه كما توقع،

فألقَـى بالوسـادة فـي وجهـه ليوقظـه معنّفـاً إيّـاه، ومـا لبـث أن ردّهـا إليـه صديقـه بقـوة طرحتـه أرضـاً، ثـم تعالـت القَهْقهـات، هكـذا الرفـاق دائمـاً، لكـن صديقـه لـم يخبـره أنـه كان قـد اختبـأ أسـفل المضجـع مفترشـاً الأرض، ربمـا لـم يسـتدع الأمـر إخبـاره، وربمـا تعمـد ذلـك لسـبب آخـر!

★★★

كانـا جسـدان قـد انفصـلا، جمعتهمـا روحٌ واحـدة، أصـرّا أن يتشـاركا حيـاةً رتيبـة فُرضـت علـى كليهمـا، وشـاء القـدر أن يجمـع بينهمـا ذات مـرة فـي أحـد الحفـلات عندمـا أطـاح هـذا الماهـر خفيـف اليـد، المـراوغ، صاحـب الحِيَـل، بالكُـرَة بعيـداً ليتلقّاهـا الآخـر بمهـارة وإتقان علـى أرنبـة أنفـه ثـم يسـارع بعـد ذلـك فـي إحضارهـا لـه ويظـل واقفـاً منتظـراً أمـراً آخـر وقـد بـدأ فـي هـزّ ذَيلـه فرحـا!

نعم، لا غرابة، فقد كان مخلص،،. . . كلبا!

ومنذ ذلك الحين وقد وجد كلاً منهما نصفه الآخر.

★★★

انصرفـا سـويّا فـي صبـاح ذلـك اليـوم وقـد توجّهـا لتلـك الباحـة العتيقـة التـي تتوسـط المدينـة والتـي يشـطرها نصفيـن نهـرٌ صغيـر اعتـلاه جسـر خشـبيّ مفَـرّغ الجانبيـن احتلّتهمـا طيـور الأوز ذات الأجنحـة الكسـتنائية والسـيقان الحمـراء، وكعادتهـم بـدأ كلاً منهمـا فـي إظهـار مهاراتـه أمـام المـارّة خاصـة الأطفـال منهـم، وبـدا أنّ رحيـق الانسـجام بينهمـا قـد بلـغ ذروتـه.

حتـي أقبـل طفـلاً صغيـراً دون الخامسـة بصحبـة أبويـه يحمـل طوْقـاً إسفنجياً ضخمـاً أرجوانـي اللـون حـول عنقـه، قـد أخفَـى معالـم وجنتيـه الحمراوييـن المنتفختيـن، وقـد اكتـظّ بصـور الحيوانـات الأليفـة وقـد بـدا معتـزّاً بـه، ثـم أشـار بسـبّابته إلـى ذلـك الكلـب الراقـص فانصـرف إليـه مخلـص علـى الفـور ليتقافـز ويسـتعرض أمامـه مهاراتـه وهـو متلـذّذاً بقرقعـات ذلـك الطفـل الصغيـر إلـى أن بـدأ مخلـص يتمسّـح فـي ملابسـه وسـط دهشـة الأبويـن والجمهـور.

مـرّت دقائـق ولا زال الطفـل مصـرّاً ألّا يبـرح مكانـه، لكـن رغبـة والديـه أجبرتـه علـى الانصـراف، وتعلّقـت أنظـار مخلـص بالطفـل الصغيـر وقـد توقـف عـن حركاتـه البهلوانيـة يرقـب أحـد أهـم معجبيـه أثنـاء سـيره، وكـذا فـإن الطفـل لـم يكُـفّ عـن النظـر خلفـه ومـا زالـت ضحكتـه البريئـة تكسـو وجهـه البيضـاوي الصغيـر يصاحبهـا قهقهـة كانـت تطـرب آذان مخلـص، ذلـك الكلـب المخلـص، لكـن تُـرَى أكان مخلـص مخلصـاً هكـذا لجميـع مـن يلتقيـه؟

★★★

بـدأ وقـع أقـدام الطفـل بالابتعـاد حتـي شـارف أن يختفـي عـن نظـر مخلـص وسـط الزحـام، ثـم اختفـى بالفعـل، ثـم سـرعان مـا عـاود مخلـص الرقـص والقفـز بعـد توبيـخ صاحبـه لـه، لكنـه لـم يسـتمر طويـلاً فقـد عـلا الصـراخ قادمـاً مـن جهـة الجسـر وهـرول الجميـع صوبـه، حينئـذ، ركـض مخلـص لاهثـاً وراءهـم تـاركاً جمهـوره

وصاحبه، فالجميع يهرول مسرعاً وقد سلكوا نفس الطريق الذي سلكه صديقه الودود الذي فارقه منذ لحظات، ثم تبعه صاحبه على الفور.

★★★

كان الطفل الصغير يعبر بصحبة أبويه الجسر بينما كان زبيط الأوز وصياحه يملأ أرجاء المكان حيث لا تهدأ أجنحتها عن الرفرفة فدائماً ما تحاول التحليق لكنها لا تستطيع فتغمس رأسها بالماء علّها تجد فيه ما يغنيها عن الطيران.

وكعادته فقد تقدّم الطفل متوجهاً إلى جانب الجسر وقد أشار بسبّابته الصغيرة إلى إحداها ظنّاً منه أنها ستأتي إليه راغمة، لكن للأسف، فالجميع ليس، مخلص!

وفي غفلة من أبويه انزلقت قدماه ليسقط من أعلي الجسر في الماء! ليختلط زبيط الأوز مع صراخ أمه وأبيه! لتصل صرخاتهم المدوية إلى هناك، حيث مخلص وصاحبه.

★★★

وصل مخلص ولا زال الصغير يصارع من أجل البقاء على قيد حياةٍ لم تبدأ بعد قد تُسْلَب منه في لحظات، ليقفز في الماء ويغوص ويدفع به نحو ضفة النهر فينتشله أبوه لأعلى وسط ثناء وإشادة الجميع بهذا الكلب، لكن ثناءهم لم يكن كافياً فقد التفّوا حول الصغير وانهمكوا في الاطمئنان عليه، ونسوا مخلص الذي لم يطفو بعد!

لقد سقط الطّوْق من عنق الطفل ليتعلق بعنق مخلص ولا أحد يدري وأصبح مخلص هو من يصارع الآن وحيداً للبقاء حيّاً، فعلى ما يبدو أنه ليس حتماً أن يكون جزاء المروءة، مروءة! لكن صاحبه أبَى ألّا تكون تلك هي نهايته عندما وصل ولم يجده وسط الزحام، فقد استشعر أن مخلص كان سبباً في إنقاذ الصغير حينما سمع أحد المتزاحمين يثني على كلباً فعل ما عجز عنه جمعٌ غفيرٌ من الوقوف، فانصرف نظره على الفور إلى النهر وتلك الدوّامة التي انبجست من داخل المياه ثم ألقَى بنفسه داخلها لينجد رفيقه مخلص، المخلص.

★★★

عاد مخلص وصاحبه لمسكنهما سالمين، في انتظار يوم آخر سيبدأ بعد ساعات بصباحٍ جديد مفعمٌ بابتسامات وقرقعات يصنعانها على أوجه أطفال آخرين، فالعمل الذي يحمل رسالة يجب ألّا يتوقف، لكن مخلص بدا أنه لم يزل متوتراً، يائساً، حزيناً.

وبينما لم يفرغ صاحبه من كيّ بنطاله الوحيد، سارع مخلص بالاختباء أسفل المضجع معلناً بذلك سخطه!

★★★

حلم دافئ

الْتَقَطَـت بعـض أنفاسـها، بعـد فرارِهـا مذعـورة مـن غرفـة نومهـا حافيــة القدميــن!

★★★

أسْنَدَت ظهرها إلـى جـذْع الشـجرة العتيقـة التـي احْتَضَنَتهـا بجذورهـا الضخمـة، موجّهـةً بصرهـا لأعلـى حيـث شُـرفتها، فلـم يحـدث مطلقـاً أن تركـت فِراشِـها ليـلاً مـن قبـل.

لعلّـه كان شـيئاً مريبـاً حقـاً هـذا الـذي أفْـزَع تلـك الأرملـة الحسـناء وأرغَمهـا علـى تـرك مَضْجعهـا ليـلاً والهـرب مـن جـدران منزلهـا الـذي تسـكنه وحيـدة.

علـى أيّـةِ حـال؛ فلـم تكـن لتَضْجـر يومـاً مـن وِحْدَتهـا فقـد اعتـادت ذلـك، إنمـا كان الاشـتياق، لِـرَوْحٍ لازَمَتْهـا ثـم فارَقَتْهـا فجـأة.

وبرغـم وَحْشَـة الظـلام الحالـك فـي تلـك الليلـة غيـر المُقْمِـرة، إلا أنهـا حَسَـمت أمْرهـا وآثَـرت البقـاء بحديقـة منزلهـا علـى أن تصعـد وتـرى مـا رَأَتـه ثانيـةً، لكـن نظَرهـا ظـلّ معلقـاً باتّجـاه شُـرفتِها التـي دَأَبَـت علـى تركهـا مفتوحـة بسـبب غُصـن شـجرتها العتيقـة المُتَدلِّـي فيهـا!

★★★

لـم يؤنِسـها سـوي نَقيـق الضفـادع التـي كانـت تتقافـز حولهـا، وحَفيـف

زروعها التي تتمايل مع كل نسمة عابرة، وبعض أصوات العابرين خارج سياجِ حديقتها التي بَثّت فيها بعض الطمأنينة.

★★★

لكن، تُري ماذا رأت؟ و ماذا يخال نفسه هذا الذي كان سبباً في روعتها؟

★★★

كانت تنظر لأعلى، حيث شرفتها وغُصنها المدَلَّل، بترقّب شديد ممزوج بشغف، حتي لاحت لها فكرة، شرعت في تنفيذها بلا تردد.

★★★

تسَلّقت جذْع شجرتها العتيقة ثم تَنَقّلت على أغصانها الوارِفة حتي أصبحت في مستوي شرفتها ثم بدأت تزيح بأيديها أوراقها التي حجبت الرؤية عن شُرفتها، شيئاً فشيئا، حتي انْكَشَفت أمامها غُرفتها، وفِراشِها الوَثير.

★★★

كان المشهد مثيرا، فقد رأت نفسها، على فراشها، إلى جوار زوجها، وقد طَوّقَها بذراعيْه!

وبقدر ما أصابها من ذهول لِما رَأتْه، إلّا أن أسارير ها قد انْفَرَجت واسْتَشْعرت دِفْئاً غريباً فانْهَمَكَت دون أن تشعُر، حتي انْزَلَقت قدماها، فسقطت!

★★★

حينهـا اسـتيْقظَت عندمـا وَجَـدَت نفسـها طريحـة الأرض إلـى جـوار فراشــها.

نعـم، لقـد كان حُلْمـاً، أو ربمـا كابوسـاً، فهـي وَحدهـا مـن يقـرر ذلـك، والأهـم أنهـا لـم تَبْـرح فراشـها مطلقـاً كمـا اعتـادت ليـلاً، إلا عندمـا قامـت علـى الفـور بإغـلاق شـرفتها، لأوّل مـرة.

★★★

كبرياء حمامة

تَقدّم بِضْع خُطوات للأمام، ثم انحني لأسفل باسِطاً يده نَحوَها وقد امتلأت بالحبوب، ثم دَنا منها حَذِراً وفي هدوء.

★★★

كان عُنُقها الطويل الذي لا يَلْتَفّ إلّا لِما تراه يستحق، هو سرّ انجذابه لها دونَما غيرها، لذا، لم تَبْرح مكانها، فلم يقترب بعد للحَدّ الذي تستشعر فيه الخطر، بل كانت تتَرَقّب فقط، فَثَمّة شيء ما يُدَبّره هذا الذي يقترب!

★★★

حينها ابتسم مُختالاً، فثباتها لا يعني سوي الاطمئنان!، بِئس الغرور.

فقد كان واثقاً من استسلامها وعجزها أمام رغبتها في التقاط ما تشتهيه أو ما تودّ أن تَخْتزِنه في منْسِرها لصغارها عند عودتها لعشها الصغير، وبرغم أن باحَة منزله قد امتلأت بالكثير، لكنها حتماً تفرّدت عنهم، فما أجملها حقّاً، وما أقْبَحه!

★★★

اقترب أكثر فأكثر، وحينما تداركت ذلك، ولأنّ فِطْرتها لن تسْمح لها أن تأْمَن لبَني البشر، طارت!

افْتَرش الأرض مُنْزعجاً، كطفلٍ صغيرٍ أراد أن يمتلك دُمْية، لكنها سُلِبَت منه عقاباً له، فلا يجب أن يفكر ثانيةً فيما قد امتَلَكه غيره.
ظلّ ناظراً إليها وهي تُحلّق عالياً، لكن تُري، أكان يريدُ أن يُطعمها حقّاً، أم كان يسْعَى لامتلاكها وأَسْرِها كما اعْتاد من قبل؟، يبدو أنه لن يجد مِن مُتَعاطف!، فمن يَملُك جِناحَيْن ليس كبعض البشر، فهو يؤمن بأن الحرية أغلى من الخبز.

إذن، لمَ العجب؟

على أيّةِ حال.

فقد ظلّ متَتبّعاً إيّاها حتي حَطّت في باحَة المنزل المجاور!، فقَذَف ما بيديه بعيداً بَدَلاً من نَثْره لِيلْتقطه رفاقها الباقين، ثم أسرع إلى الداخل ولم تمضي لحظات حتي عاود حاملاً بندقيته!
لم يمنح نفسه الفرصة الكافية لأن يتفكّر قليلاً، فدائماً ما كانت بندقيته هي الحل مع أمثالها من المتمردين عليه، لم يَسْأم ولم يـكِلّ.
أمسك بندقيته مصوّباً إياها نحو الهدف، وبَقِيَ فقط أن يضغط على زِنادِها كي تُطلِق عِياراً يصيب كبريائها في مقتل، هكذا أراد، فهو لا يريد جسداً ينزِف فقط أو رَوْحاً تُنْتَزَع، بل أراد أن يقْصِف عُنقها الطويل أيضاً، فكيف تجرؤ أن تَعصيه، هو سَيّدها وهي تَنْعَم في كَنَفِه، بِئْس السَيّد هذا الذي يحيا على أعناق الشامخين، أمّا هي، فلم تفقد الأمل.

★★★

وضَغَـط علـى الزنـاد! لكنهـا أيضـاً ذات اللحظـة التـي طـارت فيهـا لتَحُـطّ علـى كَتِـف جـارِه الـذي بَـرَز فجـأة!

انْتابتْـه حالـة مـن الوجـوم، ليـس فقـط لأنهـا أفْلَتَـت منـه، بـل لأنهـا اختـارت كَتِـف جـاره الـذي حَظِـيَ بهـا دون معانـاة، فاستشـاط غضبـاً، ثـم أفْـرَغ أعْيِرَتـه علـى رفاقهـا الذيـن لـم يبْرحـوا باحتـه، فماتـوا هُـم، وعاشـت هِـي.

★★★

وجه مستفز

ذات صباح، جَلَس في هدوء، على ضفاف الترعة التي لا تبعد سوى خطوات عن بيته الصغير في قريته.

جلس ينظر إلى وجهه في الماء الراكد، وقد بدا عليه علامات القلق والتوتر وربما الاستياء، كان ينظر بتمعن ويحدّق بشدّة، كما لو أنه شخصاً غريباً عنه، فلم يختلي بنفسه منذ فترة طويلة.

لم تكن الشمس حينها قد شقّت سماء القرية إلى نصفين بعد، ولا زال صفير البلابل يملأ أرجاء المكان، وصوت عبد الوهاب في الراديو الآتي من أقصي القرية وهو يشدو، جفْنه علّم الغَزل.

لم يفقده تركيزه سوى حجر صغير انزلق إلى الماء لتضيع معالم وملامح الوجه الذي يناجيه، وسرعان ما اختفت علامات الاستياء على وجهه بمجرد زوال هذا الوجه القبيح!

هدأت المياه مرة أخري ليري نفسه وكأنه ينظر في المرآة، ليعاود نظراته اللّوامة المليئة بالرغبة في الانتقام!

لعله شيئاً كبيراً ما فعله!

★★★

عجوز وطفل

وسط صخب المدينة وانبعاث الأدخنة من كل مكان وصوت ضجيج المركبات المختلط ببكاء طفل صغير يصرخ من قسوة أمه التي انهالت عليه بالضرب لأنه صرّح برغبته في اقتناء دراجة رآها أمامه في إحدى المحال التجارية فسارع بركوبها دون إذنها، وبينما يقف بائع البطاطا في زاوية أخري ليعلن عن، البطاطا السخنة أمام المارة الذين لم يلقوا له أو لغيره انتباهاً وكأنما على رؤوسهم الطير، يسيرون في خط مستقيم، كلٌ يعرف غايته ولا يعير الآخرون اهتماماً.

انزوَى في ركنٍ بعيد، عجوز، بدت على ملامحه علامات الشيخوخة وتملأ وجهه التجاعيد التي تحكي عن عُمْر يناهز السبعين، والتي شارفت ثنايا وجهه على النطق لتروي تفاصيل حياته المملة وصراعه مع دنياه حتي وصل به الحال لهذا المكان، يجلس وبجواره طفلٌ صغير لم يتجاوز عمره العامين، يمسح على رأس الصغير بإحدى يديه، وبالأخري يحاول أن يعطيه كسرة خبز، في حين بدا الصغير متضرراً وقد حاول أن يبعد يده رافضاً، يجلسون في سكينة وكأنما ينتظرون شيئاً ما، وفي أعلي المبني الذي يركنون إليه إعلان عن مركز لعلاج الأورام.

استسلم الشيخ لرغبة الصغير ثم وضع الخبز داخل جلبابه البلدي الممزق فسيأتي الوقت المناسب لتناوله، ثم أدار وجهه ناظراً مراقباً لوجوه المارة وهو يقول(يارب) ثم يتمتم بكلمات غير مفهومة لعلها كانت دعوة منه إلى خالقه ثم عاود النظر إلى الصغير وهو يتفحصه جيداً كأنما يراه لأول مرة، حتي فاجأه صوت من أعلي ينادي، يا حاج، فانتفض الشيخ حاملاً الطفل مهرولاً إلى الأعلى حيث ناداه المنادي.

انتظرت قليلاً مترقباً نزول الشيخ من أعلي واقتربت من مدخل البناية لأرصده عن قرب عند مغادرته المبني.

غمرتني السعادة عندما رأيته وقد اقترب مني وفي يديه ما يشبه نتيجة تحليل طبّيّ، ولكن لا شيء يعنيه الآن إلا التحديق بوجه الصغير وتقبيله مبتسماً مسروراً، وكالعادة فالطفل كان متضرراً أشد تضرراً هذه المرة، ثم عاود الشيخ المحاولة ليعطيه كسرة الخبز، حينها ضحكت كثيراً، ثم اختفوا وسط الزحام.

★★★

صديقي وفنجاني

فجأة!

تَعالَت الصَيْحات، ورأيت الكثيرين يهرولون جميعاً نحو نفس الاتجاه، حتي ذلك النادل في المقهَى العتيق الذي جلسْت فيه لأحتسي قهوتي منتظراً صديقي، فقد تركني قبل أن يعطيني إيّاها متوجّهاً في نفس الاتجاه.

الكل يهرول ولم أكترث للحظات، فالقهوة التي ما زالت في يديه، هي كل ما استهواني لحظتها، ثم بدأت أن أفيق بعد سماع صوتٌ صراخ مكتوم، نظرت صوْب مقصدهم لم أرى سوى زحام قد أحاط بشخصٍ ما مُلقَى على الأرض، التقطتّ القهوة سريعاً قبل أن تفقد (الوش) وارتشفت منها القليل حتي أتفحّص جيداً ما يدور، فجميعهم ينظرون تحت أقدامهم، تسلّلت من تحت الأكتاف لكي أصل إلى مقدّمة هذا الجَمْع الغفير محافظاً على توازني كي لا يسقط فنجاني الذي لم يخطر ببالي أنني لن أُكْمِله، فقد أصابني الذهول، إنه صديقي!

★★★

من يكون؟

كان المطر يهطل بغزارة والريح تعصِف بمعطفي عندما شَرُفْت على دخول الشارع الذي أسكنُ فيه، ثم انطفأت الأنوار فجأة وأصبح الظلام يحيط بالمكان إلّا فَيْضٌ طفيف من نور القمر، وأصبحت بالكاد أرى معطفي الأسود الذي أرتديه، وسطوع زخّات المطر التي تتساقط على الأسفلت بقوة بلونها الثلجي.

لم يمكّنني من مواصلة السير سوى البرق الذي يُنير المكان أمامي لثوانٍ معدودة ثم يحل الظلام مرة أخرى، وكنت في كل مرة، أنظر أمامي لكي أحفظ معالم الطريق قبل أن أفقد قدرتي على الرؤية.

لم يتبقى إلّا القليل.

كان البرق يكشف أمامي كل شيء على مرمى البصر، والرّيح تدفعُني إلى الأمام بقوة، فجسمي نحيف لم تنجح معه كل أدوية النحافة.

اقتربت كثيراً وأنا كالعادة محدّقاً كي لا أتعثّر.

وفجأة!

كشف البرق عن رَجلٌ يقف في منتصف الشارع لا يفصلني عنه إلّا خطوات!

كيف؟

هذا الرجل لم يكن موجوداً في المرّات السابقة عندما كان البرق يكشف الشارع، خاصةً وأنه على مقربةٍ منّي!

غاب البرق ثم عاود مرة أخرى لينعكس على وجهه ويكشف عن ملامحه التي بَدَتْ لي مألوفة جداً!.

كانت على وجهه ابتسامة ذَكّرَتني بنفسي عندما أقف أمام المرآة، نحيفاً، يرتدي معطفاً أسود اللون، اقْتربْت أكثر، مندهشاً من سر الابتسامة، فلمن يبتسم؟

كان كل شيءٍ في وجهه يخبرني بأنني أعرفه جيداً، نعم أعرفه، إنه يشبهني كثيراً!

أصبح ما بيني وبينه لا يتعدّى ذراع وهو ثابت في مكانه لم تؤثر فيه الريح.

أظلَمَت الدنيا للحظات، حتي إذا عاود البرق، لم أَرَه!

لقد اختفي!

ارتجفت يدايْ وانتابتني قشعريرة ولم أقْوى على مواصلة السير، لكنّي وجدت نفسي أمام منزلي، فواصلت السير، ثم نظرت خلفي مرة أخرى متسائلاً:

هل كان ذلك الرجل، أنا؟

★★★

رحلة

في ساعة متأخرة من ليل ديسمبر، اضطرّته الظروف أن يترك عمله ويستقل القطار المتوجّه إلى الصعيد، بعد اتصال هاتفي من زوجته أبلغته فيه أنها على وشك الولادة!

★★★

جلس إلى اليمين بجوار النافذة، في إحدى عربات القطار الخاوية من الركاب، عدا شاب في العشرينيات من عمره يجلس في الجهة المقابلة في الثلث الأخير من عربة القطار، فالليل قد توغّل ولم يتبقى إلّا دقائق لتعلن عقارب الساعة عن بدء يومٌ جديد.

جلس مُسْتكيناً وقد ألقى برأسه لتستقر على جدار النافذة، فقد أنهكه التعب، يتفحّص المقاعد المتهالكة والأبواب المفتوحة والنوافذ المتهشمة.

وبرغم أنه في استقبال مولود جديد، إلّا أن ملامح وجهه لم تعكس ذلك أبداً، فهي لا تعبر إلّا عن حزن دفين ينفضح بنظراته السارحة، فلديه من الأبناء، سبعة!

أخذ ينظر من خلال النافذة مُفكّراً في مستقبل أطفاله الثمانية، .

كانت الدنيا متّشِحة بالسواد، فالليل القاتم والسماء المنحدرة إلى

الأرض، ليست إلّا سواداً، ولكن السّواد كان خلفية اللوحة التي رسمها أمامه ليعيش فيها بعض الوقت متخيّلاً ما سيناله من عقاب الدنيا، وبدا كمن يخاطب نفسه معاتباً، فالذنب ليس إلّا ذنبه.

توقّف القطار قليلاً في إحدى المحطات، ولم يصعد أحد، وبقي ذلك الشاب الجالس بعيداً كما هو في مقعده وقد غلبه النعاس، تاركاً غيره مستيقظاً مشغول البال.

بدأت الرحلة من جديد وبدأ يرسم لوحته مرة ثانية، وهنا استرجع شريط الذكريات، فهناك ما مضى من لحظات بالعمر لم تكن بهذا القدر من البؤس، ونظر إلى ذلك الشاب النائم وتذكر ريعان الشباب وتمنى لو عاد الزمن به مرة أخرى ليقتنص ما فاته من لحظات لم يقدّر قيمتها.

توقف القطار بمحطات كثيرة وفي كل مرة يرسم اللوحة بشكل مختلف، ولكن دائماً كان الحزن مسيطراً على معالمها وتفاصيلها الدقيقة، والشاب مازال نائماً.

حتى إذا اقترب القطار من محطته المرجوّة وأصبح على مشارف بلدته، أخذ في التأهّب للنزول مراقباً ذلك الشاب الذي كان رفيقاً هادئاً طوال الرحلة، فقد استيقظ ليتأهب هو الآخر للنزول في نفس المحطة.

توقف القطار ليعلن عن السماح لراكبيه بالنزول، وعند الباب

تلاقيـا وإذ بالشـاب مبتسـماً يقـول:

- كانت رحلتك طويلة.

-فعلاً، حمد الله على السلامة.

وغـادرا الإثنيـن القطـار ليطلـق صافرتـه مـرة أخـرى معلنـاً اسـتمرار الرحلـة.

★★★

عُرس

كعادتي، انتهيت من ارتداء رابطة العنق بصعوبة، فلم أحضر حفل زفاف منذ ثلاث سنوات، ولا أحب، ولكنه أصرّ.
فقد أبلغني أن الدعوة ليست عامة، هي للمقربين والأحباب فقط.
كانت ابنته الوحيدة من زوجته التي تركتها وفارقت الحياة وهي لا تزال في الثالثة من عمرها، لا أدري من هو المحظوظ بها، فقد أبَي القدر أن يجمعها بالكثيرين من قبله، فالجميلة، دائما رافضة وساخطة، لعلها رغبة والدها التي انصاعت لها أخيراً.
توجّهت إلى العرس وقد استغنَيْت بإرادتي عن طقوسي اليومية الخاصة، فحياتي تبدو رتيبة لمن يعرفني. ولكني مستمتعٌ بها قدر المستطاع، فأنا كائنٌ ليْليّ، الليل حياتي، ولكني، وطوعاً ليس جبراً، سألبّي دعوته، فهو رئيسي في العمل!
تركت من ورائي، كرسيّي الهزّاز، وشُرْفَتي وأضواء السيارات التي دائماً ما أُطاردها قبل أن تختفي الواحدة تلو الأخرى، وتلك المنضدة الصغيرة التي تحوي العديد من فناجين القهوة بعدد أيام الأسبوع وأكثر، فستبِيت اليوم دون أن تَزيد واحدا.
وصلت إلى مقر العُرْس الذي كان يعِجّ بالمدعوّين، فالقاعة ممتلئة على آخرها بعكس ما أخبرني أن الدعوة للمقربين، لا بأس، ربما

كانـوا جميعهـم مقربـون، لكنهـا كانـت أجـواء مقلقـة، فهنـاك شـيء مـا يجـري غيـر عـادي، طغـى ذلـك علـى ملامحهـم جميعـاً وبـدا فـي حركتهـم، تعلّقـت أنظارهـم جميعـاً بـي، وكانـت شـفاهِهم تَـوَدّ لـو تسـألني، فهـم كمـن يبحثـون عـن مجيـب.

لـم ألبـث أن أصبحـت مثلهـم تمامـاً، أنتظـر مـن يجيبنـي عـن سـؤالي، هـو فيـه إيـه؟

بحَثْـتُ كثيـراً عـن صديقـي لأعـرف مـا يـدور، حتـي وقـع نظـري عليـه فـي إحـدى أركان القاعـة وقـد بـدا متماسـكاً لكـنّ شـيئاً مـا أفسـد ابتسـامته المعتـادة.

حاولت أن أقترب، فبادرني أحدهم قائلاً : العروسة هربت!

وقعـت كلماتـه علـى مسـامعي كـسَيْلٌ أطـاح بـكل مـا هـو أخضـرٌ ويابـس، أطـاح بفرحـة صديقـي وحوّلهـا فـي لحظـات لجـرح لـن يندمـل.

انسـحبْت فـي هـدوء، فقـد أبَـت بنـت صديقـي أن تعكّـر صفـو تفاصيلـي اليوميـة، وآثَـرَت علـى نفسـها أن تهـرب، علـى أن أتـرك قهوتـي وشُـرْفَتي.

وعُـدتّ أدراجـي، لأسـتلقي علـى كُرسـيّ الهـزّاز، أتنـاول قهوتـي، وأطـارد أضـواء السـيّارات الواحـدة تلـو الأخـرى، حتـي تختفـي.

فلـن أحضـر حفـلات زفـاف أخـرى، فأنـا لا أحـب، حتـي لـو كانـت الدعـوة للمقرّبيـن فقـط.

★★★

داخل السينما

اصطحبني العجوز ممسكاً بذراعي مُتتَبّعين دائرة الضوء المنبعثة من كشّافه الصغير والتي اخترقت الظلام الدامس، حتي أجلسني في مقعدي، ثم أدار ظهره منصرفاً.

كانت الشاشة العريضة أمامي هي مصدر الضوء الوحيد بالمكان، والتي بدورها قد كشفت لي عن عشرات من الرؤوس السوداء التي تصطف أمامي كأعواد ثقاب تم حرقها عمداً كما لو أنها لوحة مرسومة بالفحم، ثم رويداً رويداً ما لبث أن تشبّع نظري بحُلْك الظلام لأرى التفاصيل الدقيقة.

وما عكّر صفو رؤيتي تلك القُبّعة التي ترتديها سيدة تجلس أمامي حالت دون رؤيتي الكاملة لما يدور من أحداث على تلك الشاشة العريضة.

لم أدخل سينما منذ سنوات طويلة، ولم أدخلها وحيداً من قبل، منذ أن كان برفقتي، من كنت أعتقد أنها ستلازمني أبد الدهر، لكنه القدر الذي حال دون ذلك، فالفقر دائماً عيبٌ لا يُغتفر عند الكثيرين من ساكني القصور، أمّا ساكني القبور فنظرتهم للحياة دائماً رَحْبة، يظنّون أن باستطاعتهم أن يملكوا الدنيا بعِفّة النفس، يالها من نظرة ضيقة.

كان الصمت الرهيب يطغى على المكان، لا صوت إلا نحيبُ البطلة، ونحنحات البعض حولي.

ركنت إلى الجانب الأيمن من المقعد متّكِئاً، لأتفادى تلك القُبّعة اللعينة، أحاول أن أكشف مساراً للرؤية بعيداً عنها، تبَّاً لها فلقد مضى زمن القُبّعات.

تذكّرْتُ لحظات سعادتي التي لم تمتلئ حياتي إلّا بالقليل منها، فالمشهد آنذاك لم يكن بهذا الشكل أبداً، فلم تكن تلك الرؤوس السوداء موجودة، ولم تكن البطلة تنحب دائماً هكذا، ولم أكن وحيداً أبداً فالدنيا بأكملها ترافقني حينما كانت تميلُ إليّ وتضع برأسها على كتفي، حتي تلك القُبّعة اللعينة، لم تكن موجودة.

ياااا الله، كانت نسائم جميع الفصول تَعْبُرُني عبر أنفاسها، أدْمَنت عِطرها المميّز جداً حتى أنني أصبحت في كل لقاء يفوح منها أنتظره كالمدمن الذي ينتظر جرعته، فهو الشفاء، وإذا لمستني بيديها يصيبني الشلل وتقف جوارحي جميعها عن العمل، ما عدا القلب الذي يقفز خارج صدري ليعانقها.

آه، أدركت الآن لماذا لم أرى حينها تلك الرؤوس السوداء وتلك التفاصيل السخيفة الأخرى، فلم أكن أرى سواها، ولو أني أعرف لما كنت أتَيْت اليوم.

ما زالت البطلة تُفْرغ نحيبها بالكامل في أُذُني، لم أتحمّل ولم أنتظر حتى تنتهي، فقد بادَرْت أنا لأغادر هذا المكان المميت، مودّعاً صاحبة السعادة الجالسة أمامي وقُبّعَتِها اللعينة، فالهروب

الآن هـو مُبْتغـاي الوحيـد.
وقبـل أن أصِـل إلـى بـاب الخـروج، رأيـت العجـوز مُقْبـلاً يصطحـب زوجيـن علـى ضـوء كشّـافه الصغير، أفْسـحْت قليـلاً ليمـرّوا، ، العجوز أولاً ممسكاً بـذراع الـزوج الـذي يليـه مباشـرةً، ثـم، ثـم!
كانت هي الأخيرة،
رأيتها!
نعـم هـي، كانـت ممسـكة بيديـه، تنظـر أسـفل قدميهـا متتبّعـة دائـرة الضـوء.
رأيتهـا، ولـم ترنـي، ، فلـم تـزل عينيهـا لـم تتشَـبع بخُلْـك الظـلام، رأيتهـا برفقـة آخـر غيـري.
تسـمّرْت مكانـي للحظـات حتـي عـاد العجـوز وأمسـك بذراعـي ليرشـدني إلـى بـاب الخـروج.

.

خرجـت ومـا كـدتُّ أن أفعـل، فنظـري لـن يخطـئ أبـداً، حتـي وإن أخطـأ، يسـتحيل أن يخطئهـا، وإن حـدث هـذا، فالعِطـر الـذي فـاح منهـا ولا زال يمـلأ أرجـاء المـكان هـو عطرهـا.
لقـد أبعدنـا القـدر عَمْـداً لسـنوات، ليجمعنـا مـرة أخـرى صدفـة، ولكـن بعـد أن سـلب منّـي أحاسيسـي المشـروعة نحوهـا، ليعطيهـا لآخـر.
ولكن، هل يهْوَى هو الآخر المجيء إلى هنا؟
أم كانت فكرتها، لتستعيد ذكريات فارقتها منذ زمن؟

★★★

صنيعة يديه

ألقى بفأسه أرضاً، وخَرّ على ركبتيه، ماسحاً بإحدى يديه جَبِينه الذي يتصبّب عرقاً، والأخرى قد وضعها خلف ظهره وهو يتَأوّه فلم يستطع إقامته الآن منذ أن انحنَى في الصباح الباكر.

كانت النسمة التي تعْبُرُه بالكاد تصِله ولكن بعد أن تتسبب في عِراك بين زروعه العالية وحفيفاً كما لو أنها تتحدث لبعضها البعض، غيرُ عابئة بوجود مخلوقاً آخر بجوارهم ليس منهم.

وجلس ليستريح قليلاً من عناء يومٍ شاق، وسط سيقان زروعه، فقد أنهكه التعب، واستنفذت الأرض قواه حتى خارت، فقد أنهمك في تفاصيل الأرض وطِينها، ولم يُوْقِفْه سوى قُرْص الشمس الذي غاب عن سمائه وانْدَسّ في زروعه ليظهر منه فقط شعاعاً قد اخترق الأخضر الذي أمامه ليستقر في بؤبؤ عينيه، حينها تلفّت ولم يجد حوله سوى سيقان زروعه محاصَراً بها.

استلقَى ووضع رأسه على الطين ناظراً لسمائه الرمادية فقد سارع قرص الشمس للهروب، وتخلّلت قدماه ويداه الزروع حتى لاح كنجمة خماسية تسكن الأرض بدلاً من السماء.

فاليوم كان شاقّاً جداً حتى أنه ظن أن الشمس قد تأخرت عن ميعاد غروبها، ثم استسلم في هدوء، وغلبه النعاس.

أقبل الليل وهَدَأَ حفيفُ الزروع ولكِنّ صوتاً آخر يشبِهُه قد حَلّ ليزعِجَه ويُفزِعُ الطيور المستكينة على مقرُبةٍ منه.

شقّ طريقاً بيديه بين زروعه التي حجبت رؤيته، ليعرف مصدر الصوت المُريب، وأخذ ينظر لأعلى ليراقب حركة الطيور، ومن أين تحلّق، حتي يحدد مقصده. حتى بدا له أنه اقترب، فالطيرِ المفزوع، قد علا فوق رأسه، وبينما هو ناظراً لأعلى يزيح بيديه ما يعترضه من زروع وقلبه يخفق بسرعة البرق، إذ بيديه تتحسس ملْمساً كما لو أنه ملابس إنسان، لينظُرَ أمامه فجأة ليجد خيال المآتة، صنيعة يديه هو ما أخافه!

رافعاً يديه، اليمني أمامه، واليسري عالياً، كما رجل المرور!

ثم هَوَت اليسرى لتسقط على كَتِفه، فتلقّاها قبل أن تصيبه لتبدأ المعركة بينه وبين صنيعته.

★★★

حينها علا صوت زوجته متأذّية، فقد جرح يدِها وهي تِوقظه.

★★★

وفاء

لم يكن الأمر ذا أهمية لديه عندما كان يحذره والده من الاقتراب من ذلك الكوخ القابع أعلى الربوة، فقد كان صغيراً لا يعنيه سوى اللعب واللهو، وطاعة أمر والده ذلك الرسّام الماهر.

أمّا والدته، فقد شاء القدر أن تضع مولودها الوحيد دون أن تراه، لتتركه يتيم الأم، يصرخ في مهدِه مستنجداً بصدرها الذي حُرِمَ منه ومن حنانها طيلة أربعة عشر عاماً هو عمره الآن.

لم يتغيّر المكان كثيراً منذ أن كان صغيراً، فالمكان فسيح والطبيعة خلابة واللون الأخضر قد اقتحم أدقّ التفاصيل عدا جذوع الأشجار، وزقزقات العصافير التي كانت تخيفه وتُبكيه صغيراً، ما زالت كذلك، لكنها لا تخيفه الآن، فقد أدرك الآن أنّه هو من باستطاعته إخافتها، فالرجال لا تبكي، ولا تخيفها زقزقة العصافير ولا حتى شيئاً آخر، هكذا علّمه والده.

بَقِيَ الفضول الذي يدفعه دائما لكشف سر ذلك الكوخ الذي يعتلي قمة تلك الربوة مسيطراً عليه، ولا يمنعه عنه سوى طاعة أمر والده حتى عندما كبُر، لكنّ تحذيرات والده لم تقف كثيراً، حائلاً أمام فضوله المجنون، وكيف ذلك والرجال لا يخيفها شيئاً؟!

تردّد كثيراً قبل العصيان، حتي انتصرت داخله، الرغبة، على الطاعة.

اتّخذ قراراً لا يعرف عُقْباه وهَمّ بالسير نحو هدفه ليفك طلاسم ذلك اللغز الغامض.

لم تتركه العصافير، فقد أحاطته محلّقة كما الحُرّاس المخلصين. أو ربما كانت تَوُدّ لو تعرف هي الأخري سرّاً قد اشتاقت لمعرفته.

اقترب من باب الكوخ جاذِباً إيّاه بحذر، فالمفاجأة غير مضمونة العواقب.

فتح الباب بهدوء، ونظر بداخل الكوخ، ليجد ما لم يكن ليتوقّعه مطلقاً.

إنّه والده، جالساً يبكي!

كيف وهو من علمه بأن البكاء ليس من عادات الرجال؟!

كان يبكي أمام لوحة كبيرة قد رسمها لزوجته التي تركته منذ أربعة عشر عاماً.

لقد صنع محراباً ليبكي فيه وحده بعيداً عن أعين العصافير، ونجله الصغير.

لقد كان مخلصاً لزوجته، في كبرياء

أراد أن يَبْكي زوجته دون أن يُبْكي صغيره.

لكن ما لبثت أن انهارت تعاليم الوالد لولده في لحظات، ليسقط هو الآخر باكياً، ويصبح المحراب من اليوم مُباحاً.

★★★

انتقام

وقَـفَ مرتعِـداً، فلـم يُمسِـك بمُسـدَّس طيلـة حياتـه، ولـم يكـن الأمـر كذلـك فقـط، بـل كان يُصَوّبـه نحـو عشـيقته، التـي ارتمـت فـي أحضـان غيـره!

★★★

انزعـج المُخـرج فثمّـة شـيءٌ غريـب فـي أداء البطـل اليـوم، فقـد أعـاد هـذا المشـهد عـدّة مـرا

وفـي كل مـرة ينْهَـرُه أمـام الجميـع، فقـد كان آخـر مشـهد فـي الفيلـم، وجميعهـم ينتظـر مـوْت البطلـة، التـي كانـت عشـيقته أمـام الكاميـرات، وعشـيقته أيضـاً مـن خلفهـا!

لـم يعلـم أحـد سـواها، سـبب ارتباكـه، فقـد تكـرر نفـس المشـهد منـذ يومين فقـط، ولكـن خلـف الكاميـرات وبـدون مُخـرِج ومسـدّس! وشـاء القـدر أن يجمعهمـا ثانيـةً بعـد أن سـقطت كل أقنعـة الخـداع والزيـف. كان ينظـر فـي كل مـرة إلـى عينيهـا التـي لطالمـا كانـت تتـلألأ فمـازال بريقهـا يسـحره، لكـنّ سـرعان مـا كانـت نـار ثـأرِه هـي التـي تـأكل كل حصيـد وَلَعِـه وشَـغَفِه بهـا.

وكـم تمنّـي أن يكـون بحوزتـه هـذا السـلاح منـذ يومين فقـط، محشُـوّاً بالطلقـات الحيّـة، يُفرِغُهـا جميعهـا فـي صدرهـا ليُطفـئ نـار ثـأرِه، لكنّـه القـدر الـذي أمْهَلـه يومين فقـط.

وها هو اليوم، الذي حانت فيه فرصته التي تتجسد فيها رغبة الانتقام في أبشع صورِها ولكن للأسف، تمثيل!

كانت بارعة في دورها أمام الكاميرات، فهي تمثل دوْراً لربما عجز الكثير عنه، دَأَبَتْ عليه منذ زمن بعيد، وأدّتْهُ هي الآن بمهارة فائقة، مهارة العاهرات، غير عابئة بنظراته المنكسرة بل بادَلَتْه بابتسامة تعلن فيها عن تحدّيها وخَوْضِها في طريقها فهو لم يكن إلّا ضحية من ضحاياها الكُثُر.

انتفض المخرج ليُوَبّخه، وسط استياء الجميع، فالمشهد أقل بكثير من إمكانيات البطل، وارتباكه لا تفسير له.

شَحَذَ هِمَمُه، ورَفَعَ مسدّسَه مصَوّبه بين عينيها، ثم لَمْلَمَ ما تبقّي من ثقته بنفسه، حتي يتمكّن من الضغط على الزناد، ثم أسْرَعَ ليتلافَى هذا الشعاع المنبعث من عينيها.

وأَطْلَق الرصاصة التي لا رَجْعَةَ لها، حتي صّفَق الجميع، وتوجّه إليه المخرج ليُهنّئه ويُثْنِي عليه، وهو لم يزل ممسكاً بمسدسه مصوّبه نحوها.

لكنّها سَقَطَتْ ولم تَقُمْ! لم تَقُم!

لم يلْحَظْ ذلك إلّاهُ، إنها لم تَقُم!

حينها، صَرَخَ صرْخةً مدَوّية، مُغْلِقاً عينيه، ناظراً لأعلَي، ثم أمسَكَ بمسدّسِه، لينزع عنه خزانته، ويُفْرِغ منها طلقاته الحيّة، مُحقّقاً ما تمنّاه، مُطْفئاً لنارِ ثأرِه.

★★★

حب في المترو

أقْبَلَ مُسرعاً ليلحق بإحدى عربات المترو الذي تهادت سرعته عند دخوله محطته بالفعل، فقد كان في عَجَلة من أمره، وعقارب الساعة تعانده، تُسْرِع كلما يُسْرِع، لكنه لا زال مُصِرّاً على اللحاق بموعده.

كان الرصيف مكتظّاً بالمنتظرين من الركاب، لكن شهامته وحياؤه المعهود منعه من تجاوز كبار السن الذين استقرّوا أمامه، وبَقِيَ هو في آخر الصفوف.

لم يتوقف المترو بعد، والوافدين من ورائه لا زالوا في ازديادٍ مستمر، حتي اصطَدَمَت به، مَن منعَها حياؤها هي الأخرى مِن تجاوز الصفوف الأمامية.

وبعفَوية نَظر خلفه، حتي إذا ما وقع نظره عليها، لم يلبث أن استقر هكذا! رأسه للخلف وباقي جسده كعروسٌ خشبيّ.

كانت ترتدي وشاحاً أحمر اللون لا فرق بينه، وحُمْرة خجلِها، وأشعة الشمس التي انْصَبّت عليها وحدها أَخْفَت وراءها سلاسل شعرها الذهبي، وأضْحَي كلُّ الزّحام سرابٌ في لحظات.

توقّف المترو ولم يشعر، إلّا حينما استأذنته لتمر، فحاول أن يُقَدِّمُها ويُفسِح لها فرفضت.

وتأهّب الجميع، وفَتَح المترو أبوابه الكهربائية مستقبلاً وافديه الجُدُد، ركب الجميع وكانت هي آخر من يركب وراؤه مباشرةً، وأرغمهما الزحام دون الجلوس، فوقَفا، ولكن تلك المرّة، وجهاً لوجه.

استقَرّ الجميع في أماكنهم فسيعاود المترو الانطلاق، وقبل أن يُوصِد أبوابه، سقط وِشاحُها خارجاً، وبشهامته المعهودة، لم يكُن منه إلّا أن تأهّب ليلتقطه بسرعة، وبالفعل نزل، لكن الأبواب أبَت دون أن يعيده لصاحبته، نزل ولم يستطع الصعود مرة أخرى، فقد أُغلِقت الأبواب، وهي من ورائها، وَقَفَت في حالة من الوجوم، وغادر المترو المحطة!

★★★

وقف في حيرة شديدة، ليس بالتأكيد بسبب الموعد الذي لن يستطع اللحاق به، بل كيف يستطيع الوصول إليها ثانيةً، ؟

أخذ يفكر طويلاً، فهي قد غادرت ولا يدري أين مقصدها، ثم لم يجد سوى بارقة أمل وحيدة، هي أن يستقل المترو القادم، لعلها ستنتظره في محطةٍ ما!

استقل المترو التالي ثم وقف إلى جانب الباب محدّقاً خارجه لعله يراها في المحطة القادمة،

قارب المترو على دخول المحطة التالية وهو لا زال محدّقاً إلى الخارج مترقباً ظهور رصيفها، و وَدّ لو أخرج رأسه ليكشف

الرصيف إلى آخره، لكن اليأس قد تَمَلّكَهُ عندما لم يجدها.
استمر مستقلاً المترو، متجاهلاً محطته التي كان يقصُدُها، ربما لم تفطن هي إلّا مؤخراً، ما قد سبقها هو بالتفكير فيه.
كانت سعادته لا توصف ودهشته أكبر وأصابَ بالفعل هاجِسُه عندما رآها منتظرة في ترقّب على رصيف إحدى المحطات.

★★★

توقّف المترو ونزل على الفور متوجّهاً إليها، فبادَرَته بابتسامة من بعيد تعبيراً منها عن شكرها وامتنانها فشهامته أجبرتها على تلك الابتسامة التي ما كانت لتخرج من بين شفتيها أبدا.
أخذت وشاحها الأحمر، ثم سألته عن وِجْهَتُه، وسرعان ما بَدَت على وجهها علامات التأثُّر عندما عَلِمت أنه لن يُكمل معها رحلتها، فقد ترك محطته وعليه العودة في المترو المعاكس.
تركته وما كادت لتفعل، لتستعد للصعود قبل إغلاق الأبواب.
لكنها لم تشعر بنفسها عندما صعدت وقبل أن تُغْلَق الأبواب مباشرةً، أَلْقَتْ بوشاحها أرضاً خارج المترو، ثم أُغْلِقَت الأبواب.
غَمَرتْه السعادة وفَهِم الرسالة، واستعد ليستقل المترو التالي.

★★★

على صفحة الحوادث

سَبقوه صِغاره إلى الشاطئ، حتي إذا انتهي من قص شاربُه، جلس في شرفته المطلّة على شاطئ البحر الذي لا يفصله عنه سوى رماله الذهبية، يراقبهم، مستمتعاً قدر استمتاعهم، ثم ارتدي نظارته المقعّرة، وبدَأ بتصفّح جريدته المفضلة، وكعادته، فإن صفحة الحوادث التي تستهويه، كانت دائماً ما يستهل بها قراءته، ربما كانت أخبارها هي كل ما يعنيه، فلا شيء لديه يضاهي فقدان الرّوح.

كانا يومين قد اِختلسْهُما من حياته الرتيبة الكئيبة، ليشحذ هِمَمُه من جديد كي يقاوم ويستمر في حياة لا شيء فيها يبعث على السعادة.

سقطت نظارته عند سماعه صراخ استغاثة، كما سقط قلبه معها أيضاً، وترك جريدته ولم يكمل أخباره المفضلة، ناظراً نحو الشاطئ محاولاً رصد أطفاله الذين غفلت عيناه عنهم لثوانٍ معدودة، لكنه لم يبصرهم، فركَض نحو الشاطئ لا يعلم مقصده، حتي إذا رأوه مندفعاً نحوهم هرولوا ناحيته، مهلّلين فرحين بقدومه ليشاركهم لعبهم ولهوهم.

هدأ الأب قليلاً، ولم يلبث أن التقط أنفاسه، حتي سمع صراخاً

مكتوماً كما لو كان آتياً من أعماق البحر، فلا يزال هناك من يستغيث!

أخذ يبحث عن مصدر الصوت، حتي وقعت عيناه على من يستغيث، فلم يظهر منه سوي ذراعيه اللتان تحاولا التعلّق بأي شيء ولم تجد سوى، الهواء.

سارع بلا تردد في محاولة الوصول إليه وإنقاذه تاركاً أطفاله بعد أن أصابهم الهلع فقد اطمأن عليهم على الشاطئ ولن تعدو كَوْنِها لحظات وسيعود، فهناك من يحتاج الغيث.

شقّ البحر نصفين كعصا موسى، حتي وصل إليه وهو مازال يصارع الغرق ويتمسّك بآخر أملٍ له في الحياة، وإذ به يجد طوق النجاة ليتشبّث به.

ولكنّه تشبّث أيضاً ألّا يموت وحده، ليفارقا الحياة معاً.

★★★

لعله لم يكن راضياً عن حياته، لكنه وبرغم ذلك لم يكن ليتمني الموت، فلم يكن هنالك لديه ما يضاهي فقدان الروح.

بَقِيَ الأطفال على الشاطئ منتظرين عودة أبيهم ليشاركهم لعبهم.

لكنّه لم يَعُد.

إلّا على صفحة الحوادث.

★★★

لا شيء أكبر من قرص الشمس

دَخَلَ غُرفتـه المُعْتِمـة وأوْصَدَ بابَهـا بإحـكام، كـ اللّـص الهـارب مـن ملاحقتهـم، ثـم اسـتدار مسـتنداً بظهـرهِ علـى البـاب، وأغْمَـضَ عَيْنَيْـه فـور اطمئنانـه وهـو يرتجـف، ثـم خـارت قـواه وهَـوَي كقطعـة مـن المعـدن جَذَبَهـا مغناطيسـاً، فارتطـم بـالأرض!

لـم يفقـد وَعْيـه، بـل اسـتجمع قـواه مـن جديـد حينمـا لاح ضـوءٌ خافِـت آتٍ مـن نافـذة الغرفـة، فقـد كان هـذا كافيـاً لِأَن يسـتثيره ويعقـد العـزم علـى الوصـول إليـه ليمنعـه مـن شـقّ خُلْوَتِـه.

★★★

كان مُنَعّمـاً منـذ صغـره، ينزعـج كثيـراً مـن الضـوء، ومـن أَعيُـن المراقبيـن لـه، خاصـةً وإن أدركـوا نقـاطَ ضعفـه، ربمـا كان ذلـك سـببه فقـدان ثقتـه بنفسـه، والتـي انتُزِعَـت منـه وهـو صغيـر.

لكن.

لعله شيء جَدّ خطير، الذي دعاه للخروج في نهار آب!

على أيّةِ حال.

فقـد اسـتطاع أن يجلـس علـى أريكتـه دون عنـاء وسـط العتمـة، ولِـمَ لا، فهـو يحفـظ معالـم غرفتـه عـن ظهـر قلـب، ثـم نـزع عنـه قميصـه، واسـترخي فـي هـدوء.

★★★

كان حتماً أن يخرج، وأن يواجه قرص الشمس الساطع، في تحدٍ ليس بالهيّن، ليؤكد لنفسه أن عنفوان الرغبة أقوى بكثير من الثقة المسلوبة، ربما ينتصر على نفسه.
ذهبَ وآثَر المواجهة، لكنّه كان يُلَمْلِمُ أجزاءه التي تتساقط منه مع كل خطوةٍ يخطوها، ومع ذلك لم ييْأس، استمَرّ حتى استقَرّ.
وفي لحظةٍ مشهودة، وقبل أن يفقد ما تبقّي من إصراره، أغمض عينيه، ثم أَطْلَقَها.

حينها، ضَحِكَت في سخرية رَافِعة رأسَها عالياً فحَجَبَتْ قرص الشمس عنه لِتَحِلّ محَلّه، حتي أن قهْقَهتِها أثارت انتباه الجميع من حولهم، لكنّهم لم يكونوا لينظروا إليها، بل كانوا ينظرون إليه!
لم تُخْفِ اندهاشها واستنكارها، ولم تَرأَفْ بعواطفه الجيّاشة وهذا الفَيْضُ من المشاعر النبيلة الطاهرة، وانقَضّت عليه كـ ذِئب سال لُعابه وأخذ ينهشُ فريسته، وقالت ساخرة، (بتحبني؟)

★★★

لم ينتظر أن تضحك ثانيةً
وأَيْقَنَ بعدها أنه قد خسِر معركته، وأنه لا شيء أكبر من قرص الشمس.

★★★

في الميدان

لم يدري بنفسه عندما ساقته قدماه إلى هناك، ففي لحظات لبّي نداء الوطن وحَلّ ثائراً في ميدان الثورة.

وكيف لا، وغريزته التحرّرية جعلته متمرداً بطبعه، عاشقاً للحرية، لكنّهُ، وعلى غيرِ هَواه كان مكَبّلاً بالقيود والأغلال، لم تُسْعِفْه خُطاه المتسارعة في ماراثون حياته البائسة، من نَيْل مراده والحَظْو بأدني أمانيه، عيشٌ كريم وآدمية يجِلُّها المجتمع.

ولم يكن ليسانس الحقوق الذي حصل عليه، سوى ورقة لا قيمةَ لها أمامَ قاضٍ لا يحكم بالعدل، ولم يكن حتي شفيعاً له لدى صاحب المطعم الذي استَغْنَي عنه، فهو لا يجيد تنظيم موائد عِلْيَة القوْم ولصوصهم، في مجتمع لا يُعظّم سوى، من يملك مالاً، أو سُلْطة، أو لساناً كذوب.

لا بأس، إنها الحياة التي تعطي لمن لا يستحق، وتتمنّع عن آخرين لطالما وَهَبوا أوطانهم الكثير.

★★★

من قلب الميدان، كان الوطن يئِنّ، وروحه تُنتَزع منه، لكنه مازال

متمسكاً بحقه في الحياة، مناشداً القلوب الحيّة، لا القلوب التي اكتفت بالنبض، أن تَرِقّ لِحالِه.

★★★

وقَفَ الرّفاق في تراصٍّ منتظم، كانت هامَة أقْصَرهم طولاً تعلو فوق أعناق المتكبرين المتجبّرين، ارتدي كِمامته وسَط الدخان الكثيف الذي ملأ سماءَهم والمختَلِط بغُبار هَروَلة المتدافعين وصوت الطلقات التي لا تهدأ، ووقَفَ إلى جوارِ رفاقِه صفّاً واحداً، حتى لا تُختَرق صفوفهم، فهم يفْتَدون بصدورِهم ثائراتٍ وقَفْن خلفهم يهتفْنَ بالحرية، كانوا كلما يتقدمون خطوة للأمام، يشعلون من ورائهم النيران، حتي لا يفكر أحدهم بالرجوع للخلف، لكنّ أيديهم بَقِيَت بيضاء في مواجهة شركاء الوطن.

كان الهتافُ شَدْواً رائعاً يُلهب الصخر ويَبثّ فيه الرّوح، وكانت الأرض مثل البُساطِ الذي طارَ بِهم كجناحِ حمامةٍ حَطَّت على أغصان الزيتون، والأمل.

★★★

تَعالَت الهتافات وتَعالَي معها صَداها الذي كان يرتدّ لِيُصيب مَن في مواجهتهم بِرَجْفَةٍ تخلع عنهم قلوبهم، وما كان منه إلّا أن رَضَخَ لجوارحه التي حثّته على أن يَعتَلي أكتاف أحدَ رفاقه، ليهتف باسم

أغلـى الأوطـان، فَصـارَ أعلـى مـن رؤوسـهم جميعـاً ليكشـف عـن مشـهد مهيـب أرغَمَـه علـى إطـلاق صَيْحـة مُدَوّيـة أتـت مـن أعمـاق وجدانه، وطـــنـــــي

كانـت آخـر مـا لَفَظَ بـه، قبـل أن تسـتقر الرصاصـة فـي صدره، ليسـقط صريعـاً فـي الحـال! ويعتلـي رفيـقٌ آخـر أحـد الأكتـاف، ويسـتمر الهتـاف.

★★★

حالة

أصَـرَّ فـي اسـتجداء، أن يكـون لقاءهمـا الأخيـر بنفـس المـكان الـذي لطالمـا كان شَـاهِدَاً أمينـاً علـى ترنيمـة عشـقه الوحيـدة التـي أوشـكت الآن علـى الاندثـار.

★★★

قبـل الميعـاد، وفـوق ذلـك الجسـر الخشـبي المتهالـك بشـدة، الـذي يعلـو جـدولاً رِقْراقـاً مـن المـاء العـذب، أشـعل سـيجارته متواريـاً مُتلصّصـاً قبـل أن تَصِـل، فسـتنْهره كالعـادة، فهـي التـي كانـت دَوْمـاً تنهـاه عنهـا، ثـم اسـتدار ناظـراً أسـفل الجسـر نحـو المـاء، فـي انتظارهـا.

انتظـر طويـلاً، وهـو يراقـب المـاء المتدفـق مسـتمتعاً بصـوت خريـره وهـو ينسـاب جاريـاً بيـن شُـقوق الصّخـر والحصَـي ليغسـل مـا يقابلـه ويجـدّد لـه بريقـه، انتظـر كثيـراً، فالتَّـوْق لرؤياهـا يَلْفَـحُ ثنايـا قلبـه، حتـي أنـه أشـعل آخـر سـيجارة بحوزتـه، ثـم أخـذ يبحـث عـن بقايـا سـجائره المُغتَصَبـة المتناثـرة ليشـعلها غيـر عابـئ، فالقلـق مـن رؤيتهـا لـه قـد زال، ربمـا لأنـه أدرك أخيـراً أنهـا لـن تأتـي!

شـاخ عمـره، وتبخـر أملـه، فـي سـويعات، وأعلـن الجسـر عـن تذمـره وعـدم قبولـه لـه وحيـداً أعـلاه، وبـات مـن المؤلـم أن يغـادر جسـره الصغيـر بعـد أن طعنتـه فـي صميـم الـروح، لكنـه لـم يلبـث أن غـادره

حتـي انهـار بمـا يحملـه مـن ذكرياتـه وتناثـرت أشـلاؤه فـي المـاء ليجرفهـا التيـار الهـادئ ويمحـي آثارهـا فـي لحظـات.

★★★

أمّـا هـي، فلـم يعـدو كَـوْن الأمـر لديهـا، سـوي حَالـة، قـد رَأَت تلـك الطبيبـة فيهـا، نـواة لبحثهـا العلمـي الجديـد، فهـي طبيبـة نفسـية ناجحـة. لكـنّ وَلَعـه بهـا، جعلـه يتناسَـى ذلـك، فقد انْبَهـر بمـن أحسَـنَت وصْـف حالتـه، وبمـن كانـت تَنْطـق بـدلاً عنـه مـا يَحسّـه قلبـه ولا تسـتطيع شـفتيه النطـق بـه، وبمـن أجـادت فـي معاملتـه برِفْـق، انجـرف وراء مشـاعره البَتـول وأطلـق لهـا العنـان، فكـم كانـت حبيسـة طـوال ثلاثـون عامـاً، هـي عمـره الآن.

★★★

الغريـب فـي الأمـر، أنـه كان عليـه الانصـراف ليلحـق بعمله بالسـيرك، فقـد كانـت وظيفتـه هـي إضحـاك الآخرين.

ولـم يكـن الأمـر يتطلـب منـه سـوي بعـض الحـركات البهلوانيـة التـي كانـت كفيلـة بإضفـاء البسـمة علـى وجـوه الآخريـن، الذيـن يرونـه مبتسـماً دائمـا بفضـل الوجـه الضاحـك الـذي يرسـمه بألوانـه وبيديـه، ويخفـي وراءه وجهـه الحقيقـي الحزيـن.

★★★

أنهـي العـرض بنجـاح ونـال استحسـان جمهـوره الـذي صفـق لـه بحـرارة، ثـم اتجـه إلـى كالوسـه، لينفـرد بنفسـه قليـلاً.

أشعل سيجارته كالمعتاد، وما أن راح ينظف وجهه من ملامحه المزيفة، حتي باغَتَتْه من ورائه، لتنتشل من فَمِه السيجارة اللعينة، تلك الوحيدة التي لم تستطع التغلب عليها.

★★★

من هَوْل المفاجأة، لم يتمكن من تفسير سبب مجيئها، لكنها وكالعادة أسرعت بالإجابة قبل أن يسأل.

ثم أثْنت على أداءه وأبلغته بأنه لم يتأثر كثيراً أمام جمهوره بسبب عدم مجيئها في الميعاد، بل أنه نجح كعادته في إدخال البهجة عليهم.

لكنه بالطبع لم يستوعب جيداً.

وأخذ يردد كلماتها بعد أن غادرت كمن ذهب عقله، .

(كيف أن الحياة لن تتوقف؟وكيف أنها مثل الماء الجاري؟)

★★★

عملاق لا يرحم

في ظهيرة أحد أيام تموز الحارّة، بَرَزَ فجأة راكِضاً نحو الشاطئ، حافي القدمين، يتقافَز مثل الكُنْغُر من سخونةِ الرّمال الملتهبة ويَخْلع عنه ملابسه التي ضاق بها حتي تَجَرّد منها تماماً عند وصوله الشاطئ!

خاضَ في الماء حتي ابْتَلّ كاحِلَيْه، ثم جلس حيث تَوقّف واسْتَلقي على ظهرِه راقِداً، فأحاطت به المياه حتي غَمَرت أُذُنَيْه ولم تترك سوي أنفه وعينيه وجبهته العريضة.

ترك ما وراءه ليستنجد بالبحر، ويشكو للسماء ما لَحِق به، ويغسل ما أَشَابَه بالماء المالح، ربما يزيل الملح آثار ما سَكَنَه من بُقَعٍ عنيدة.

★★★

قَفزَت من بين فَخْذَيْه سمكة صغيرة، لتسقط في يدِه المَبْسوطة الغاطِسة في الماء بجواره وتُفسِد عليه لحظات تأمّلِه وشَكْواه.

فانتبه لها وما كان منه إلّا أن اقْتَفاها حتي إذا وجدها، أخذ يتَتبّعها بحِرص ليحاصرها على الشاطئ، فكان له هدف خبيث.

وبرغم محاولاتها المستميتة للفرار منه، يبدو أنه قد نجح فيما يريد، فقد أغلق عليها بحركات سريعة منه كافة السبل التي

تمكنها من الهروب ولم يرأف بها برغم حجمها الذي لم يتجاوز إصبع قدمه الذي تواجهه وهي عاجزة عن الفرار.

لم يكتفِ بذلك، بل قَبَضَ من رمال الشاطئ ليضع حولها، صانعاً حاجزاً رملياً يمنعها من الهروب، حتي علا وأصبح كحصنٍ منيع لا تستطيع تجاوزه.

جلس بجوارها فَرِحاً وقد بَدَتْ على وجهه ابتسامة غريبة ربما كانت تَشَفِّي وانتقام، لكنه بالتأكيد ليس انتقاماً من تلك المسكينة، إنما كانت هي كبش فداء لغيرها من المخلوقات التي لم يستطع هذا العملاق أن يشْفي غَليله منها ثم لم يجد غيرها في طريقه، أمّا هي، فما الذي تستطيع فِعله سمكة صغيرة لا تَحْمل ضغينة لأي من مخلوقات الله على الأرض.

لكنها حتْماً أخطأت عندما شَرَدَت عن السّرْب لتستقر هنا بين يدي من لا يرحم.

بدأت المياه داخل الحصن تجِف رويداً رويداً، فالرمال سرعان ما تَتَشرّب المياه، حتي جفّت تماماً!

أخذت المسكينة تصارع الموت البطيء وحدها وتتراقص قافزة لأعلي في محاولة منها للنجاة، لكن محاولاتها باءت بالفشل!

أصابها اليأس وهدأت حركتها جراء انسحاب الروح، واستسلمت للموت المحقق، والعملاق مازال مبتسماً متلذذاً!

حينها اطمأن، فلا أحد سوف يفسد لحظاته التي اختلسها ليعود ليقضيها مغموراً بالمياه، راقداً في هدوء مغلقاً ما بين فخْذَيْه.

★★★

لكنّ البحر الخائن له، الحريص عليها، أَبَي أن يتركها وحدها لتكون ضحية لبني البشر! فكان أرحم بها منه عندما قرر أن يدمر الحصن المنيع بموجةٍ واحدة، تلاشَت بعدها كل الحصون التي تحبس الأرواح الذكية، وأفْسَدت على المتجبّرين كل اللحظات التي ينْعَمون بها داخله، لتعود المسكينة إلى الحياة مرة أخري وتقفز في وجهه كما لو أنها تخبره بأنها انتصرت، فيحاول أن يمسك بها، ولكن هذه المرة لم يفْلَح وانطلقت في بحرِها لتبحث عن سربها من جديد.

★★★

فهرس

إعلان عن جريمة ٥
رسائل زجاجية ٩
احتجاج ١٤
الهودج ١٨
تشابه أسماء ٢١
ظل متمرد ٢٤
ورقة توت ٢٧
اللص والذئاب ٣١
قارئ الفنجان ٣٤
هنا دار الضيافة ٣٨
انتحار ٤٣
مأساة ٤٨
مخلص ٥١
حلم دافئ ٥٦
كبرياء حمامة ٥٩
وجه مستفز ٦٢
عجوز وطفل ٦٣
صديقي وفنجاني ٦٥
من يكون؟ ٦٦
رحلة ٦٨
عُرس ٧١
داخل السينما ٧٣
صنيعة يديه ٧٦
وفاء ٧٨
انتقام ٨٠
حب في المترو ٨٢
على صفحة الحوادث ٨٥
لا شيء أكبر من قرص الشمس ٨٧
في الميدان ٨٩
حالة ٩٢
عملاق لا يرحم ٩٥

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو 2017

للتواصل مع الدار والمشروع

هاتف / واتسآب
+2 01091985809 +2 02// 37390893

الموقع الإلكتروني
www.lotusfreepub.com

البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com

صفحة فيسبوك
FB/lotusfreepub

إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
أحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة
١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً
حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض
نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين

نساء وقيود
الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري الشقاء
كتبتُ أحبك
فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا
الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
بردية رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا
مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سئمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار
وأد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب
الضحية
غيمات حبر وحب

كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
كريتوس
عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك
أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف
زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا
خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال
التقارير المالية
موسم التوت

عبث
سلسلة المحاسب المتميز - ج١
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات
الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن
زمان غادرنا
رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب
الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجومانجي
نموذج بابيي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين
حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ
فضفضة
كالبحر يتنفس موجا

بائعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو
طرقتُ باب هواكِ
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس
أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
خربشات كاتب مجنون
اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة
مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كرتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف
فوق السحاب
كلمات الحياة

إعصار الدم
العشق المنتظر
احترف فن كتابة الرواية
بذور الدم
حديث إلى النفس
موشور اللا متناهية
قصائد على خد الورد
عازف على ضفاف الشوق
وإني أشتهي وصلا
وانفرطت حبات السحر
هذا ما حدث بالفعل
انتبه إلى يمينك لعله يسار
ماذا علمتني الأيام
قهوة سادة
ثم أشرقت الشمس
دين السياسة
عيونك دربي
في جحر الأرانب
النارية
في الحافلة
نساء على ضفاف الحلم
تغريدة الروح والدم
ديوان الحب والحكمة
خفقات قلب
زهرة الصحراء
في ظل الحبر ٢
على ضفاف الذاكرة
محسن المصدوق
إسراء - أصفار العهد القديم
وعلينا السلام
انتقام الشر
الأحلام الوردية
أنت الحياة ودونك الموت
رسايل بحيص
ميراث الماضي
بداية حياة
سلة التفاح
فضة
قانون الحب
على الهامش
بين الجدران
سرطانية
العملاء
حنايا الروح
غربة حرف
غدا يوم جديد
أروقة الحنين

إحساس محمود
أنين سديم
الأتينيو
طلسم عشق
على شرف المحبرة
رباعيات
معزوفة حرف
في ظل الحبر ٣
أفول الأوهام
حديث الروح والقلب
أرض الأحلام
غابة التعاويذ السبعة - ملوك وتيجان
داون ٢١
فين عصايتك
من برلين إلى مارلين
حبيبتي أميرة البحار
رسائل أحرقتها العواصف
أفكار للتأمل
الجني العجوز
أحببت قمرا
غابة التعاويذ السبعة - أرض الأجداد
قلوب من الجنوب
بداخلي غصن زيتون
كلام ابن عم حديت
عذراً أيتها الخنساء
فليبق الأمل
لا سكاكين وجع في هذه المدينة
سر الملكوت
قرة عيني
عيناكِ
ياء، سين
بداية جديدة لكل أم
وقتي من ذهب
القائد الصغير
سمير وهدفه النبيل
لأنكِ مني
قابلتك في المترو
قبة الحياة
ماريوه
لقاء غريب
وحينما افترقنا
دوائر
آخر قطرات الحنين
اليوم الأجمل لم يأت بعد
عندما ينطق الحرف
الغروب الأخير
رانت الأيام

أبعد من الكلمات
اتجاه إجباري
قصة عشق - ج١
سجود المشاعر
رسائل لم تصل
بين أجنحة الكاردينال
أسيرة روح
صغيرتي
حكايات رحال
جوري
غربة روح
توءم الشعلة
عادي في بيتها
رسائل منسية
خلف القلوب الصامتة
وقابلتُ شيطانا
تزوجيني أولا
لم أكن أتوهم
ملاك أنت أم بشر؟
العملية كوبرا
ذلك الغريب
عاشقة على سفح القمر
احترس هناك بشر
قسمة ونصيب
مع العصفور
برادلي ولغز أهل النجوم
أزرق داكن
عنوان غموض
مخطوطة إبليس
حبر الألم
متاهات الحجرة المغلقة
طريقي بقربك
موعدنا ذات صباح
بلدة على أطراف العالم
بين طيات الهوى
أسرار الالتفات في سورة النحل
سكين ودماء
رجة عقل
تاج
كأولين
صديقي عرّوب
حكايات شارع العمدة
محاولات في القافية
دور المجمع العلمي العراقي
عاليا يا عرب
حروف مبعثرة
القرآن خارج الصندوق

نعم أحبه، ولكن
فرس على جبل
لامار
عندما يُعشق الزيتون
أخر الحلم
حواء تحت الهامش
سيكولوجية النهاية
عنكبوت اللهفة
حديث لا يقبل الرحيل
ذات الرداء السماوي
العنقاء
ضمير الشيطان
الحياة في ريفانا
امتنان
سقوط بطئ
السر الآسن
شيفرة القدر
لسان التمساح
ليليان
بطل بلا عنوان
مشكاتي تنزف عشقا
نحو مقاربة جديدة لإعادة التربية
ظلال على جدار الروح
إعدام القيود
أنتِ قدري
هذه هي أنا
التدفق في عروق الذاكرة
من بين عيونك باتولد
صدفة
خواطر قلبية
مبرر نهائي
موسم الأحلام
حقيقة وما بعدها
صوت وصمت
خواطر الثامنة مساء
أحلام مبتورة
دموع الشتاء
حينما فاض قلبي
حكواتي هذا الزمان
مميز بالأسود
صحفية على هامش الحب
قطوف أندلسية
دراويش وكرامات
قبل النهاية
دينامية المشروع الشخصي
كبير العيلة ٢
كما سقطت الفراشة

كانت لنا أيام
مكالمة خاطئة
أغنيات الرحيل
حكايات الشهيد
وجع الذاكرة
الحلبية
كبير العيلة ٣
وتناثرت الأجزاء
العالم متر في متر
على جناح الحلم
شهقة نبض
اعتذار غير مُجدي
ظلال المرئي
طفولة بلا زوابع
أسطورة قلبي
دلني على السوق
كلمة أم حكاية
بقايا ذاكرة
تدريس اللغة العربية
رحلتي إلى السودان
أطلال أحلام
لم يعد قلبي لغيرك
في ظل الحبر (ج٤)
جريمة أبريل
الجذور
عالم الشياطين
آمال
رسائلي إليك
ليلى والمجنون
جدار الذكرة
غيابة الجُب
سيد الشر
حنين إلى الدهشة الأولى
لظى الثلج
بدون مقابل
رسائل اشتياق
المقدس سره
مملكة في رحم امرأة
الكونتيسة
مصريخ
مالاهاياتي
بطعم الحب
طرقات مختلفة
سامح على اسم خاله
ضواحي المدينة
خريف ٢٠٩٤
أشواق مبعثرة
التربية على قيم حقوق الإنسان

جنينة العكارشة
سرابيل الخوف
الحب كما يجب أن يكون
حلمي حلمك
رحلة طبيب إلى الحج
للحب كلمة أخيرة
طيور في سماء الإحساس
كوفيد التاسع عشر
سيريتوس جيمناي - سحر أورتم
القصة القرآنية ومدارج التأويل
وريث فنريسولفر
أمل بعد حب وخيانة
لنا عودة
هي والقدر
بروليتاريا
نقطة
وادي الرماد
لأجل هذا خلق الحزن
مدرسة العظماء
على حافة اندلاع الاعتقاد
كل الطرق تؤدي إلى السادسة
صباحاً
على حافة الرصيف
سبل الإيمان
وحدك
صرير الالتفات
خلوة
أنا المؤرخ
من قلبي سلامٌ
لحظة قدر
سفينة النجاة
موقعة شارع العمدة
الطفل المميت
القابعون تحت القيود
لغة الجسد في القرآن الكريم
هديتي لأحبتي
هيرنيا
لم تكن صدفة بل كانت قدراً
كلمات
شيرخان
في براح الأمنيات
فلنبدأ القتل
وأخاف أن.
قطوف مغربية
الاغتراب الصوفي الأندلسي
مضمار العشق وعنواني
على جبين القمر
آر إتش(RH)

أسرار لغة الجسد
مداعبات فكرية
مرسومة يا عيون الصبية
جريمة في المالديف
صائد الصفقات وصغيرته
خريف الأندلس
مجرد حضور
نزاعات المشاعر
مجموعة إنسان
بعد الفراق
فى ظروف غامضة
كلنا ندفع الثمن
شاي بالحب
أوراق البيلسان
صراع في أرض الفيروز
الشتاء الأخير - ج١
البحث عن الحقيقة
عم صابر
خوف وقصص أخرى

www.lotusfreepub.com

رقم الإيداع
2021/

الترقيم الدولي ISBN
978-977-6839- -

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف